

العراق - ايران أسباب وأبعاد النزاع

تأليف : « فاضل رسول »

صدر عن المعهد النمساوى
للسياسة الدولية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Alexandrine

مقدمة

تخلت الحرب العراقية - الإيرانية عامها السادس دون أن تلوح في الافق نهاية قريبة لهذا النزاع الدامي ، الذي وصفه أحد المراقبين بحق أنه أحد أهم النزاعات المسلحة التي نشبت منذ الحرب العالمية الثانية ، خاصة فيما يتعلق بحجم القوى البشرية والمادية والتكتيكية التي استخدمت في هذه الحرب وحجم الخسائر المادية والبشرية التي لا حصر لها .

وهذه الحرب شغلت مكانا ضخما في أجهزة الاعلام في كافة انحاء العالم ورغم هذا ، جاءت الدراسات التحليلية لهذا الموضوع نادرة . ويرجع ذلك في رايانا الى الافتراض الذي كان سائدا منذ بداية الحرب وهو انه في مثل هذه المنطقة الحيوية لا يمكن أن تستمر أى حرب لمدة طويلة . وانتظر العالم نهاية قريبة للحرب وضاع انتظاره سدى ، وعلق كل آماله على محاولات مجسدية للوساطة .

ثم يدرك المراقبون والخبراء السياسيون أبعاد وعوامل هذه الحروب ادراكا كافيا . فأوصاف مثل « الحرب المجنونة » (تقرير ميريب ١٢٥/١٢٦) ، « حرب بدون منتصر » (مؤسسة فريدرش ايبرت ١٩٨١) ، « حرب بدون منطق واضح » (روبين ١٩٨٣ ، ص ١٤١) أو « حرب التقديرات الخاطئة » (اقبال ١٩٨٥ ، ص ٩٨) - هذه الأوصاف جميعا لا تشير فقط الى الرفض المعنوي للحرب مدمرة ، بل تشير أيضا الى عدم الفهم الكافي لأسباب الحرب ومجراها ، وطريقة التعبئة والمفاهيم الأيديولوجية للقوى المشتركة والمتورطة في هذا الصراع المعقد .

بل ان الأسباب التي تسوقها منشورات ومطبوعات الجانبين المتحاربين والموالين لهامشية للبلبللة والتضليل . فالرئيس العراقي صدام حسين يقول . « أن العراق يحارب نيابة عن تاريخ ومن أجل مستقبل الأمة العربية » . أما آية الله الخميني فيزعم « ان هذه الحرب انها هي بين الاسلام والكنز » (خوميني ، رسالة بتاريخ ١٩٨٠/٩/٢٤) . بينما وصف أحمد المنشورات الموالية لايران الحرب بأنها صراع بين الاسلام والقومية زمضى (١٩٨٥) ، في حين صورها الجانب الآخر على أنها صراع بين القومية العربية والتوسع الايراني (رؤوف ١٩٨٣ ، فريتسلى ١٩٨١) .

وترتكز هذه الدراسة على الافتراضات التالية :

١ - لا يجب فهم هذه الحرب بالمعنى المتعارف عليه على انها تعبير عن نزاع على الحدود بين دولتين متجاورتين . كما أنه لا يمكن تصور أن إبرام

اتفاقية جديدة للحدود سوف ينهى هذه الحرب ، مثلما حدث في تاريخ النزاعات على الحدود الذى استغرق قرونا طويلة بين الامبراطورية الايرانية والعثمانية ، ومثلما حدث في هذا القرن بين الدولتين الحديثتين (العراق وايران) وتدور الحرب الحالية تحت ظروف دولية واقلية جديدة من جانب ، ومن جانب آخر في ظلال نهضة اسلامية جديدة في التاريخ الحديث لهذه الدول . انها واحدة من اصعب النزاعات في الشرق الأوسط اذا قورنت بالصراع العربى الاسرائيلى والحرب الاهلية اللبنانية المرتبطة بهذا الصراع .

٢ - كيف يبدو الآن الوضع الدولى الجديد الذى تشتعل الحرب في ظلالة ؟ مما لا شك فيه أن كل نزاع اقليمى ومحلى يرتبط بطريقة أو بأخرى بالنزاعات الدولية والاقليمية ذات الابعاد الواسعة بل يتأثر بموازن القوى بين الدول العظمى . وعلى أية حال اتسمت ثمانينيات قرنا بوضع دولى جديد ، نحاول توضيح معالمه الجوهرية وخاصة تلك التى تتعلق بدراستنا حول الحرب الايرانية العراقية .

(ا) تدويل الحروب المحلية ، أى تشبكها المعقد في شبكة العلاقات الدولية حيث انه لا يمكن لأى نزاع أن يظل اقليمياً . فالدول الكبرى - وبخاصة الدولتان العظميان - متورطة بطريقة أو بأخرى في كل صراع محلى واقلية وبذلك يصفون بعدا دوليا على أى من هذه النزاعات ، في نفس الوقت تصب الصراعات المحلية والاقليمية في استراتيجيات الدول العظمى .

(ب) بالرغم من تدخل الدول الكبرى وتورطها في النزاعات الاقليمية وتأثيرها على كيفية سيرها من خلال معونات الاسلحة وتأييدها لاحد أطراف الصراع نجد أنها تعجز في معظم الأحيان عن انهاء هذه الصراعات . وانطلاقا من هذا السبب لا نتفق مع هؤلاء الذين يتوقعون نهاية للحرب العراقية الايرانية وكذلك العديد من الصراعات الاقليمية الأخرى عن طريق التوصل الى اتفاق سوفيتى أمريكى على سبيل المثال . وسنتعرض في دراستنا التحليلية لضروب الفوضى في النظام الدولى التى نجمت عن هذه الصراعات .

(ج) ظهور القوى الاقليمية والمحلية (دول وحركات تحرير) التى تسند اليها دائماً ادوار أكبر في العلاقات الدولية والصراعات الاقليمية . وحتى لو اعنبرت نفسها مربوطة بمحور احدى الدول العظمى ، فليس من الضرورى ان تكون تابعة كلية لهذه الدولة ومحدودة في حرية قراراتها وحركتها . وستظل القوى المحلية والاقليمية - على مر الزمن ومع التركيب المتغير للدول العظمى - من اقوى شركاء في المحاور والتحالفات الدولية .

(د) تسعى بعض هذه القوى الاقليمية (دول تملك قدرات مادية وبشرية وثقافية ضخمة) الى نوع من السيطرة الاقليمية . وقد نشأت هذه الظاهرة (على الأقل في الشرق الاوسط) اثناء الستينيات فقط .

٣ - ولتفهم ظاهرة مثل الحرب العراقية الايرانية ، لا يتحتم تحليل الارتباطات الدولية فقط بل يتعين أيضا مراعاة بعض السمات الحضارية الأخرى والخصوصيات كالقومية العربية ، الاسلام . فكما غير ظهور القومية العربية في عهد ناصر في الستينيات الوضع السياسي للمنطقة ، جذريا ، وأدى الى اقامة تحالفات دولية وصراعات داخلية واقليمية ، يمكن النظر الى « نهضة » الاسلام على أنها تيار سياسى قوى وعامل مهم آخر فى عدم استقرار المنطقة .

وهذه التيارات القومية العربية ، والاسلام ، تيارات وحدوية تسعى الى اقامة وحدات سياسية أكبر في المنطقة (وحدة العرب كقومية ، وتوحيد المسلمين فى أمة واحدة) ، وبالرغم من ذلك كانت سببا فى عدم الاستقرار ، وفى العديد من الصراعات العسكرية السياسية فى المنطقة . ونحاول هنا دراسة هذه التيارات الاقليمية وغير الاقليمية فى ضوء تأثيرها على الحرب العراقية الايرانية :
ظواهر أخرى مشابهة .

٤ - ويقود هذا الى مجال آخر ، أى الى تحليل التركيب الحضارى السياسى للمنطقة التى نشأت فيها على مر تاريخها (فى عهد الخلافة والدول الاسلامية المختلفة) وحدة سياسية حضارية عظيمة ، تجزأت بعد هزيمة الدولة العثمانية الى دول ودويلات صغيرة ، ولعل أوضح مثل على ذلك هو الاثنان وعشرون دولة عربية .

ولا يتجاوز عمر الدولة الحديثة فى هذه المنطقة الستين عاما ، وهى غريبة عن تاريخ المنطقة وتقاليدها وأصولها . وقد أقيمت الدولة الحديثة على النمط الغربى ، على الرغم من اختلاف الظروف العامة والتطورات داخل البلاد المختلفة إلا أن هذه المحاولة لاقامة « دول حديثة بمؤسساتها القضائية والسياسية والحضارية باءت بالفشل الذريع . وكانت نتيجة هذا الفشل ظهور النهضة الاسلامية ، التى تسعى - من بين ما تسعى للعودة الى نظام الدولة الاسلامية ورفض « الدولة الحديثة » .

ولا يمكن أن يعزى ضعف الدولة الحديثة الى الاغتراب الثقافى بل لعل أهم سبب هو غياب القاعدة السياسية الثقافية الصلبة والراسخة والمسائل الخلافية والانتماءات فى هذه الدول . وقد دخلت الدول الحديثة فى محاولتها لاقامة وتثبيت انتماءات جديدة مصطنعة (الانتماء للدولة الحديثة ولشعبها) فى صراع مع الأقليات القومية والمذاهب والقبائل والطوائف . وكانت نتيجة هذه المساعي قبل وبعد الحرب العالمية ناجحة نسبيا ، إلا أنها فشلت فى الستينيات بسبب

ظهور الانتماءات الدينية والقومية ، وأدى ذلك الى ضعف الكيان الهش للدولة الحديثة لدرجة انه يمكننا القول بأن هذه المنطقة تدخل في مرحلة جديدة من مراحل تاريخها ، وهي مرحلة تتسم بالتفكك وإعادة التكوين . ولهذا يتعين دراسة الصراعات المحلية والاقليمية (مثل الحرب العراقية الايرانية) في ضوء التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

وتعد كل من ايران والعراق نموذجا لمثل هذه الدولة العصرية التي قاست على العديد من المتناقضات التي تهدد كيان الدولة وقد تؤدي تحت ظروف معينة الى انهيارها فهناك اقلبات دينية (المسيحيين على سبيل المثال) وطائفية (كالشيعة) تعيش منفصلة في كلا هذين البلدين . وقد أدت حركاتهم السياسية في التاريخ الحديث للمنطقة الى هزات سياسية عنيفة ، ويتعين دراسة هذه الامور على ضوء الافتراضات التي سبق ذكرها (عملية التفكك وإعادة التكوين) . وفي قضيتنا هذه لا يتعين علينا تحليل هذه الحركات بوصفها عابلا اضافيا في مسار هذه الحرب فقط بل ايضا تأثير الحرب على التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

هـ - ان دراسة الخلفيات التاريخية للحرب العراقية الايرانية امر لا مخلص منه للوصول الى فهم أفضل لهذا النزاع ، فهناك بلا شك بعض الاسباب تختفي في ثنايا التاريخ أدت الى التصعيد الحالي . فقد خاضت الامبراطوريتان (الفارسية والتركية العثمانية) حربا استغرقت قرونا طويلة من أجل ما بين النهرين ونظم عدد ضخم من الاتفاقيات الدولية وعلاقاتها ومطالبهما الاقليمية . ولعبت الخلافات الطائفية وعوامل اخرى محلية دورا هاما هنا .

وواصلت الدولتان الحديثتان (العراق و ايران) هذا الصراع في قرنتنا الحالي في ظل ظروف جديدة . ولا يمكن أن تؤدي الخلفية التاريخية الى نتيجة خاطئة بحيث تصيب كثيرا من المراقبين بالارتباك وهي التي تفسد بأن الحرب الحالية عبارة عن استمرار للنزاع التاريخي القديم أو انعكاس للصراع بين السنة والشيعة أو صراع بين الاسلام والقومية العربية . ومما لا ريب فيه أن الصراعات التاريخية السابقة والنزاع على الحدود ميراث أثقل كاهل العلاقات بين البلدين . كما أنه من المؤكد أيضا أن الخلافات الطائفية (شيعة وسنة) والصراعات الايديولوجية (الاسلام والقومية العربية) ما هي الا عناصر وعوامل للحرب الحالية . ومن المؤكد أن التاريخ لا يعيد نفسه وان هذا الصراع الحالي ليس استمرارا أو اطالة للتاريخ حتى لو كانت بعض جذوره توجد في الماضي .

والحرب الفعلية تدور تحت ظروف دولية جديدة تم الاشارة اليها اعلاه . ويستحيل تقديم عرض لانفجار الحرب الحالية دون تشخيص هذا الوضع الاقليمي والدولي الجديد . ونحاول هنا تحليل مراحل الحرب والسلام بين كلتا الدولتين الجارتين وتقديم تفسير لاسباب انفجار الصراع في ظروف معينة واسباب

دعايش الدولتين تحت ظروف أخرى برغم مشكلات الحدود المستمرة ، وفدراسيها على تشكيل محور اقليمي مشترك .

ومن المؤكد أيضا أن هيكل الدولتين الحاليين العراق وايران مختلف عن بناء « الدول السابقة » . وهذه الحقيقة تضعف نظرية « استمرار الحرب » . ولا يمكن اعتبار الدولة العراقية العلمانية استمرارا للخلافة العثمانية السنية ، التي ادعت لنفسها الحق وفقا لمعايير اسلامية معينة ، في حكم جميع البلدان الاسلامية والتي دخلت أيضا بسبب ذلك في صراع مع الامبراطورية الفارسية الشيعية . وعلى الجانب الآخر تخفف الجهورية الايرانية الاسلامية عن النظام السابق من حيث نظلمها السياسي وايدولوجيتها .

ومن ثم يمكن القول بأن بعض المفاهيم مثل « حرب القومية العربية ضد انفرس » أو « حرب الاسلام ضد الكفرة » ، التي كثيرا ما استغلت دعائيا ، لا يمكن أن تكون مفاهيم قاعدية يمكن الاعتماد عليها لاجراء تحليل جاد .

اننا نتخذ في دراستنا اسلوب التحليل التاريخي . ولهذا نحاول ان نستعرض بجانب الخلفيات التاريخية أحداث الحرب وكيفية سيرها بايجاز شديد بقدر الامكان . ونقتصر في عرض أحداث الحرب على الحد الأدنى اللازم للتحليل السياسي ، اها بالنسبة لمزيد من التفاصيل فاننا نشير الى دراسات صحفية ومصادر أخرى ظهرت في العامين الاخيرين تحقوى على تفصيلات كافية عن الاحداث الاستراتيجية والعسكرية . وقد اعطى وزن كبير للخلفية التاريخية برغم التحفيز من المبالغة في أهمية هذا العامل الذي تم الاشارة اليه اعلاه ، حيث ان هذه الخلفية التاريخية لم تدرس الدراسة الكافية من وجهة نظرنا ، وان الكتب دائما ما تتحيز لأحد الجانبين .

وقد خصصنا في تحليلنا للسياسة الخارجية لكنتا الدولتين المتحاربتين فصلا كاملا للسياسة الخارجية الايرانية قبل وبعد اندلاع الحرب . وكان تحليل السياسة الخارجية الايرانية يحتل في مشروع هذه الدراسة مكانا ضخما وكان العنوان : « السياسة الخارجية الايرانية والحرب العراقية الايرانية » . ومع ذلك فقد قررنا في اطار هذا العمل اعطاء مزيد من الاهتمام للحرب والصراعات الاقليمية المرتبطة بها .

ويطيب لى في هذا المكان أن أعرب عن شكرى للاصدقاء الذين ساعدوني في انجاز هذا العمل ، وعلى وجه الخصوص البروفسور فالتر دوستال وكريستوف راينبرشت وريثاته فايشتاور ، فقد كانت ملاحظاتهم على أسلوب ومضمون هذا النص خير عون لى .

(١) ورثة التاريخ

يظل اندلاع الحرب ومسارها أمرا غير مفهوم بدون استعراض خلفيتها التاريخية . وتختلف طريقة تناولنا لهذا العمل تماما عن بقية الأعمال الأخرى .

وتدعى كل من العراق وإيران حقوقا تاريخية تعود الى آلاف السنين . فطبقا لوجهة النظر العراقية ترجع جذور الدولة الحالية الى البابليين والى الحضارة التي قامت فيما بين النهرين ، حيث بدأ تكوين أول وحدة رسمية أوقف استمرارها بسبب الغزوات العسكرية ، من بينها غزوات الفرس في فترات معينة (الراوى ١٩٨٣ ، ص ٤٥ - ٥٩) .

أما إيران . فتدعى لنفسها - خصوصا في عهد أسرة الشاه - إمبراطورية تاريخية يرجع عمرها الى الفين وخمسمائة عام (انظر احسان الطبرى ١٩٧٧ ص ٩) ، حيث تمكنت الإمبراطورية الفارسية من السيطرة على ما بين النهرين في حقبات تاريخية معينة . واستنادا على هذه الرؤية التاريخية تطالب إيران بأجزاء من العراق وأغلب دول الخليج ، وعلى وجه الخصوص البحرين (١) .

ومنذ أسلمت المنطقة في عام ٦٣٠ كانت الدولتان الحاليتان (إيران والعراق) اجزاء من نفس الوحدة القانونية (الامويين والعباسيين ٠٠ الخ) ، التي كانت تضم بين ثناياها دولا وجماعات مختلفة متنافسة وكانت العناصر العربية والفارسية تتصارع باستمرار في عهد الخلفاء العباسيين ، وقد تجلّى هذا الصراع في انشاء المدارس الدينية والفلسفية وفي تكوين الجماعات السياسية وفي محاربة الخلافة وانعكس ذلك في أدب هذا العصر (كاهان ١٩٧٢ ص ١١٥ ، ص ١٤٤ - ١٤٦ ، انظر بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

واتخذ هذا الصراع اشكالا جديدة في بداية القرن السادس عشر ، مع قيام الدولة الصفوية الفارسية الشيعية في عام ١٥٠١ . وقد انفجر الصراع بين الدولة العثمانية السنية والدولة الفارسية الشيعية منذ هذا الوقت للسيطرة على منطقة العراق الحالية . ونجح الجانبان في فترات معينة في اخضاع هذه المنطقة لسيطرتهما . ولكن من عام ١٦٣٩ وحتى الحرب العالمية الاولى تم تسوية

(١) ثم يطالب البرلمان الإيراني بحقه التاريخي في البحرين الا في عام ١٩٧٠ بعد أن ايدت اتجاهات معينة الثورة الاسلامية مرة أخرى . انظر في هذا الصدد صحيفة الاخبار الصادرة في ١٠/٤/١٩٨٠ وصحيفة الراي العام الصادرة في ١٧ ، ١٩/٦/١٩٧٩ .

نزاعات الحدود والتوفيق بين المطالب الاقليمية وموازين القوى السائدة آنذاك .
وكانت مشكلات الحدود والخلافات على السيادة على ممر « شط العرب » المائي
سببا دائما للنزاع فيما مضى وايضا بين الدولتين الحديثتين ايران والعراق .

ويرغم التاريخ لا يمكن اعتبار النزاع الحالي استمرارا للنزاع العربي
الايراني قبل وبعد اصفاء الصبغة الاسلامية . وبالنسبة لتاريخ النزاع قبل وبعد
اصفاء الصبغة الاسلامية فنود ان نستعرض الافكار التالية :

(أ) تفيد النظرية المؤيدة للعراق بأن اندلاع الحرب انما هو استئناف
للنزاع العراقي الايراني قبل ٢٥٠٠ عام (رؤوف ١٩٨٣ ص ١١) وان النظام
الايراني الحالي خليفة لاتباع « زرادشت » الكفرة . ووقعت في عام ٢٥٠٠ و
٢٠٠٠م معارك بين السومريين والاكاديين الذين كانوا يحكمون ما بين
النهرين والقبائل التي تعيش في المنطقة الايرانية الحالية ، وبين عام ٢٠٠٦ و
٩٣٣ق م دخلت الشعوب التي تعيش فيما بين النهرين في معارك مع العيلاميين
الذين كانوا يسيطرون على الشرق (على ١٩٨٣ ، رؤوف ١٩٨٣) ، انما بعد
اضمحلال حضارة ما بين النهرين فقد ظهر في العراق الحالي الساسانيون الذين
كانت عاصمتهم « مدين » تقع في جنوب ما بين النهرين .

والبحث عن جذور النزاعات الحالية في هذه الصراعات القديمة مسألة
تحتاج الى تفكير عميق . لأن الدراسات التاريخية حول أصل ومصير هذه
الشعوب ليست وافية . وهناك اسطورة كان يستخدمها الشاه دائما لتسمية
جميع القبائل والاسر التي تعيش في ايران الحالية « فارسيين » ، ولكن نتائج
الابحث الحديثة لم تثبت صدق هذه الأسطورة حتى الآن . وطبقا لرأى العلماء
يمكن ان يكون (الميديون) الذين قضوا على الدولة الاشورية في العراق في عام
٦١٢ هم أسلاف الاكراد (خزبك ١٩٧٢ ص ٥١٢ ، انظر سافراستيان ١٩٤٨ ،
ص ١٠١ -) . أما بالنسبة لأصل الشعوب الاخرى فلا توجد سوى افتراضات
متناقضة م بعضها .

ولا يعرف شيء عن الفترة ما بين اختفاء الشعوب التي كانت تحكم ما بين
النهرين والفترة التي سبقت انتشار الاسلام مباشرة . ولا يمكن اعتبار القبائل
التي نشأت في العراق قبل انتشار الاسلام مباشرة خلفاء لشعوب ما بين النهرين
القديمة ، ولكنها جاءت مع حركة الهجرة من شبه الجزيرة العربية (شكري
١٩٧٤ ص ٨٥ - ٩٨) . ويعتقد أن بقية الشعوب القديمة ذابت وانصهرت في
هذه القبائل .

(ب) وتفيد هذه النظرية بأن الحرب الحالية عبارة عن استئناف مباشر
للنزاع بين المسلمين العرب والكفرة (الفارسيين الزرادشتيين) عام ٦٣٧ . (انظر
فيرتسلى ١٩٨١ ص ١٣-١٥) ، ولذلك وصفت وسائل الاعلام العراقية الحرب الايرانية

العراقية الحالية بانها « قادسية ثانية » ، تيمنا بالمعركة الحاسمة التي وقعت عام ٦٣٧ حول العاصمة الفارسية « مدين » . ولا تتفق هذه النظرية بأى حال من الاحوال مع الحقائق التاريخية ، حيث أن العلاقة بين الدولة الفارسية والقبائل العربية والأسر الحاكمة كانت خالية من الصراعات في أغلب الأوقات .

ويجدر ذكر أن الملك اليمنى « سنيويس » - يهودى - الذى كان يعترف بالسيادة الفارسية ، طلب معونة الأسطول الفارسى ضد المسيحيين الذين كانوا يهددون دولته (زمزمى ١٩٨٥ ص ٢٠) وكان معظم أبناء قبائل لخم التى كانت تعيش مستقلة ذاتيا فى منطقة العراق الحالية قبل انتشار الإسلام من المسيحيين الموالين للدولة الفارسية وساندوها فى حروبها ضد المسلمين مثلما حدث فى الحروب السابقة ضد البيزنطيين . ولم تكن القوات المسلمة التى أخضعت الدولة الفارسية عام ٦٣٧ لسيطرتها تتكون من قبائل عراقية - كما يزعم دائما - بل من قبائل عربية كانت تعيش فى قلب السلطة الإسلامية الفتية لشبه الجزيرة العربية (انظر شكرى ١٩٧٤ ص ٨٨) . ولا يمكن اعتبار الحكام الحاليين فى إيران خلفاء للفارسيين الكفرة (انظر رؤوف ١٩٨٣ ص ١١ ف) . فهذا الرأى يفتقر الى الأسس التاريخية ويتعارض مع دور المؤسسة الدينية فى التاريخ الحديث حيث كان نظام الشاه والنيارات العلمانية الحديثة يرون فى الإسلام عائقا أمام اضعاف الطابع الأوربى على البلاد ، ولذا كانوا يسعون دائما للتقليل من أهمية الإسلام فى التاريخ الأيرانى وكانوا يشيرون اليه على أنه غزو عربى وكانوا يستندون دائما على تاريخ ما قبل الإسلام (الطبرى الجزء الأول عام ١٩٧٧ ص ١٠٠) . وكانت المؤسسة الدينية على العكس من ذلك موالية للعرب وكانت تسعى لإبراز الشخصية الإسلامية لإيران . ومن هنا نتج الاهتمام باللغة العربية - من خلال القرآن - بعد الثورة الإسلامية ، واصبحت اللغة الثانية للتعليم فى الجمهورية الجديدة (انظر الدستور الأيرانى فقرة ١٦) . غير أن هذا لا يعنى أن تصوراتهم السياسية - خاصة استيلائهم على السلطة - خالية من عناصر قومية فارسية أو حتى ميول توسعية

(ج) دخلت العناصر العربية والإيرانية فى معارك دائمة بسبب الصراعات فى الدول الإسلامية الكبرى وبخاصة بغداد . وكانت هذه المعارك ذات طبيعة معقدة تماما تكاد أن تكون قد انتقلت الى النزاع الحالى . وكانت هذه المعارك تنقسم الى ثلاثة مستويات : المستوى الأول عبارة عن صراع بين المسلمين العرب وغير المسلمين . أما المستوى الثانى فكان الصراع بين المركز والنواحى ، حيث يشكل هذا النوع من النزاع نوعا مميزا فى تاريخ كل دولة عظمى . والمستوى الثالث كان عبارة عن صراع بين أقلية شيعية مضطهدة وأغلبية سنية مهيمنة . وغالبا ما كانت هذه الصراعات الثلاثة مستقلة عن بعضها ، غير أنها كانت تتداخل فى بعضها من حين الى آخر . وسنحاول فيما يلى تناول مستويات الصراع بهزيد من التفصيل .

(أ) تمكن الاسلام الذى خرج من شبه الجزيرة العربية من غزو الامبراطورية الفارسية وشمال أفريقيا وأجزاء من المناطق التى كان يسيطر عليها البيزنطيون فى غضون خمسين عاما . وسيطر المسلمون العرب على العراق وايران عام ٦٣٦ وعلى مصر عام ٦٤٢ وعنى تونس عام ٦٧٠ وعلى المغرب عام ٧١٠ واسبانيا عام ٧١٤ وعلى جزء كبير من فرنسا عام ٧٢٠ وعلى جزء من الصين عام ٧٥١ . وتكونت داخل هذه الدولة المتعددة الشعوب فى اطار منهاج تاريخى خاص - امة اسلامية لا يحددها الانتماء لجنس او قومية بل عقيدة مشتركة واحدة . وبالرغم من أن مفهوم « الصراع القومى » لا يصلح فى هذا السياق (كاهان عام ١٩٧٢ ص ٧٨) نجد أنه قد حدث بالفعل صراعات داخل الامة الاسلامية الضخمة بين القبائل والشعوب المختلفة .

وكان التقليد السائد ان يكون الخليفة من قبيلة قريش العربية . وتمتع العرب وبخاصة فى عهد الخلافة الاموية (٦٦١ - ٧٥٠) بالعديد من الامتيازات التى لا تستند على الشريعة الاسلامية او النصوص القرآنية (انظر كاهان ١٩٧٢ ص ٦٣ ف) . وعلى الجانب الآخر كان الفرس والشعوب الاسلامية الاخرى يسعون الى المساواة والمشاركة فى السلطة السياسية . وقام الفرس فى عهد العباسيين الذين شهدت الامة الاسلامية اوج ازدهارها فى حكمهم بدور عظيم مستندين فى ذلك على تقليد حضارى طويل ، حتى أصبحوا منافسين أساسيين للعرب وبخاصة فى بغداد عاصمة الخلافة (بروكلمان عام ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

(ب) على الرغم من اعتناق المناطق التى تم غزوها للاسلام فى وقت قصير نجد أنه سرعان ما نشب صراع بين الضاحية والمركز (اولا دمشق ثم بغداد) وأسبب ذلك متوعة وذات طبيعة مختلفة . كالرغبة فى مزيد من الحكم الذاتى والسخط على نظام الضريبة وأنشطة الشيعة وبعض الجماعات الدينية الاخرى التى تمكنت من فرض ارادتها على المناطق المتطرفة او الهامشية ، وكذلك مساعى بعض الاسر المختلفة لاقامة مراكز سلطوية خاصة بها مع الاستمرار للولاء للاسلام فى نفس الوقت (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ١١٣ - ١٢٣) . وقد أدى ذلك منذ القرن التاسع الى قيام عديد من مراكز السلطة المحلية وامارات فارسية وكردية وتركية وامارات اخرى كانت فى الواقع مستقلة عن الخليفة فى بغداد ولكنها تدين له بالولاء الجزئى . وسرعان ما تكونت فى ايران تنظيمات مشابهة . وقد تمت الاطاحة الدائمة بالخلافة الاموية عن طريق العباسيين بسبب الثورة التى نشبت فى خورسان ، فى منطقة الدول الحديثة أفغانستان وايران (بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٦٠) .

(ج) فقدت الشيعة - وهي المذهب الثاني بعد السنة الحاكمة - نفوذها في قلب الامة الاسلامية بعد هزيمة واغتيال امامها الثالث حسين في عام ٦٨٠ . واجبرت أعمال القهر الشيعة على الانسحاب الى المناطق المتطرفة التي أصبحت مناطق نفوذ جديدة لهم مثل ايران واليمن والبحرين . الى حد ما مصر (بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٦٠ ف ف) . ومن هناك قامت الشيعة بالمقاومة واقامت مراكز سلطة مؤقتة . وأصبحت ايران التي تأسست فيها أول دولة شيعية كبرى ، قاعدة أساسية للشيعة . وأدى تضافر مستويات النزاع الثلاثة الى جعل الفرس أكبر قاعدة يعول عليها للشيعة ولكن ذلك لا يعنى بالتأكيد أن الشيعة مذهب إيراني . (انظر بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٧٣ - ٢٨٣) .

وترجع قصة نشأة الشيعة الى الصراعات التي نشبت في الفترة بعد وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام والخلافات حول أول خليفة له . والشخصيات الرئيسية للمذهب الشيعي - وخاصة الاثنى عشر اماما - وهم من العرب ومن سلالة الرسول ووجود قاعدة للشيعة في ايران - كما بينت النبذة التاريخية ودخول الايرانيين في نزاعات مستمرة مع مركز سلطة الامة الاسلامية ، هذا كله يوضح أحد الأبعاد المتعددة للتاريخ الاسلامي ، التي لا تكفى فقط لتفسير خلفية الحرب الايرانية العراقية الحالية .

١ - الصراع الايراني العثماني حول العراق

كان غزو المغول ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر يعنى بالنسبة للمنطقة بأسرها استغلالا ودمارا . فقد دمرت بغداد التي كانت مركزا سياسيا وثقافيا للامة الاسلامية تدميرا تاما وهجرت المئات من المدارس وأحرقت الملايين من الكتب . ولم تفق المنطقة من عمليات الخراب الا تدريجيا وفي القرن الخامس عشر . وفي ظل موازين قوى متغيرة تماما بدأ ظهور كيانات سياسية جديدة وتحولت كل من ايران وتركيا - اللتين لم تعانيا الا قليلا من الغزو المغولي - الى مراكز قوى جديدة ، ورأى العراق - الذي أصبح لا وزن له نتيجة للدمار الذي حاق به - رأى نفسه عرضة للخطر (جمعة ١٩٨٠ ص ١١) .

واعلنت الدولة العثمانية في عام ١٩٤٢ أنها أصبحت مركز الخلافة الاسلامية وادعت لنفسها حق السيادة على كل المناطق الاسلامية (بروكلمان ١٩٧٧ ص ٤٤٨) . وكان لغزو بغداد أهمية خاصة ، حيث كانت تمثل بوصفها سابقة للخلافة في عهد العباسيين قيمة رمزية رفيعة بالنسبة للعالم الاسلامي .

وكان الوضع مختلفا في الدولة الصفوية الفارسية نظرا لان ايران بوصفها دولة شيعية لم تكن في وضع يمكنها من المطالبة بحق خضوع بقية العالم الاسلامي لسلطاتها . وتخلت آنذاك عن المطالبة بالتوسعية وعزلت نفسها كلية عن العالم الخارجي . وعند قيام الدولة الصفوية لم يكن سوى نصف الشعب الايراني تقريبا من الشيعة . وبعد ظهور التعصب المذهبي والمذابح المنتظمة ضد السنين فر هؤلاء الى الهند وافغانستان والدولة العثمانية . وواجهت كثير من القبائل الشيعية المضطهدة نفس المصير . فترك مجالها الحيوي وبحث عن الملاذ في ايران الشيعية .

وتكونت نتيجة لهذه الحرب دولة فارسية باغلبية شيعية ساجقة (بيتروشوفسكى) ١٩٧١ ص ٤٨ ف ف : انظر بروكلمان ص ٤٩٨) . ويرى بعض المؤرخين ان قيام الدولة الصفوية أدى الى ازدهار القومية الفارسية تحت غطاء المذهب « الشيعي » (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ٣٧٦ . ونحن نرى أن الانعما المذهبي لم يكن مجرد غطاء فقط ، بل كان يمثل فى الواقع قوة دفع مؤثرة وعلى أية حال تغير وضع المذهب الشيعي - الذى كان المذهب الرسمي للدولة - فى القرن السادس عشر حيث قامت لأول مرة بجانب السلطة سلطة دينية يشبه دورها الى حد ما دور الكنيسة فى اوربا ابان العصور الوسطى اذ كانت السلطة الدينية ايضا مرتبطة الى حد ما بالسلطة السياسية . واستطاع

المذهب احتواء العناصر الفارسية التقليدية ليضمن التوفيق بين المذهب الشيعي والتقاليد الفارسية .

ونظرا لان مقابر سبعة من أئمة الشيعة الاثني عشر وأهم مقدسات الشيعة توجد في منطقة العراق اليوم ، ونظرا لان نصف الشعب العراقي كان من الشيعة (ولا يزال حتى اليوم أيضا) ، فقد ظل العراق يحتل بؤرة الاهتمامات الايرانية وأصبح موضوعا لصراعات متعددة بين الدولة الايرانية والعثمانية . جلبت هذه النزاعات الشقاء على المناطق العراقية بينما لم يكن للعراق نفسه سوى دور ثانوي .

وقلم الجانب الايراني بحسم هذا النزاع انطلاقا من وجهة نظر مذهبية . وكانت ايران حتى وقت قيام الدولة الصفوية قاعدة للمذهب الشيعي ، غير أنها لم تكن مركزا للنشاط والتعليم الديني ، بينما كانت أماكن أخرى هامة للمذهب الشيعي مثل البحرين وجنوب لبنان والاماكن المقدسة في العراق تحظى بأهمية اكبر واستخدمت الدولة الصفوية عند انشائها في القرن السادس عشر المذهب الشيعي لتقوية وتدعيم القاعدة الايدلوجية والقوة الدافعة للدولة الحديثة . واستقدم المعلمون والأساتذة من المراكز الشيعية التقليدية لتحقيق هذا الغرض وشجع على هذا ما كان من التعصب المذهبي الذي كان ظاهرة جديدة في هذه المنطقة . ولذا لا يمكن وصف الدولة العثمانية وكذلك الفارسية بأنها دول قومية بالمعنى الحديث للكلمة . فالدولتان تحملان الطابع المذهبي ، وكان الانتماء المذهبي على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتكامل الدولة . وثمة ظاهرة مميزة أيضا للوضع الراهن وهي العلاقات ما بين الشيعيين والسنيين في العراق الذين كانوا يشكلون في ذلك الوقت حوالي نصف عدد السكان والذين كانوا يتخذون موقف التخلف والسلبية ازاء الاتجاهات السياسية للدولتين العثمانية والايرانية . ولم ينتقل الطابع المذهبي للنزاع الى الشعب الذي كان يعيش في العراق والذي كلهم مؤزعا على المذهبين .

وكبعد آخر لهذا النزاع يتعين وضع التدخل المبكر للدول الاوربية في الاعتبار . وحيث ان الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية قوية كانت تمثل خصما قويا للدول الاوربية ، عرضت ايران ان تكون حليفا (جمعة ١٩٨٠ ص ٢١٥) وكانت ايران مهتمة بحدوث مثل هذا التقارب ، وبخاصة في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨ — ١٦٢٩) . وأقام عباس علاقات مع اسبانيا وبريطانيا لتقويض سيطرة البرتغال على الخليج ، وسعى الى تدعيم التعاون العسكري مع الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية . ونجح المبعوثان الخاصان لايران في أوروبا وهما البريطانيان روبرت وانتوني شيرلي في مباحثات تحديث الجيش الايراني وتسليحه وتوسيع العلاقات التجارية . وفي مقابل ذلك تعهدت ايران بالموافقة على أنشطة الارسانيات المسيحية وبناء الكنائس (جمعة ١٩٨٠ ص ٢٥٩) .

١ - ٢ - تاريخ مشكلات الحدود :

فتح الايرانيون بغداد لأول مرة في عام ١٥٠٧ ولكنها عادت لسيطرة الدولة العثمانية مرة أخرى في عام ١٥٣٤ . ووقعت عديد من المعارك العسكرية بين كلتا الدولتين استمرت حتى زوال الدولة الصفوية في عام ١٧٢٢ وكانت هذه الدولة أو تلك تتناوب السيطرة على العراق . وفي عام ١٦٣٩ تطورت النزاعات الى صراعات على الحدود لأول مرة ويجب عند التعرض لمشكلات الحدود وضع العوامل التالية في الاعتبار :

(ا) لم يكن العراق يشكل وحدة رسمية معترفا بها . وكانت بغداد والبصرة والموصل ولايات تابعة للدولة العثمانية ، حيث احتلت بغداد بوضعها عاصمة اقليمية وضعا خاصا .

(ب) لم تكن الحدود بين هذه الولايات الثلاث والدولة الفارسية محددة كتابيا ولم تكن الحروب الايرانية نتيجة لمطالب متناقضة على الحدود ، بل كان الدافع هو اهتمام ايران بالسيطرة على بغداد والمقدسات الشيعية وحماية السكان الشيعيين .

(ج) تمت تسوية المطالب المذكورة في المعاهدات الاولى بين الدولة العثمانية والفارسية خلال الاعوام ١٥٥٥ و ١٥٩٠ و ١٦١١ و ١٦١٣ وكذلك عام ١٦١٨ ، اما تخطيط الحدود فلم يوضع في الاعتبار ولم يكن موضوعا للمفاوضات وتم تحديد مناطق نفوذ كلتا الدولتين في معاهدة ذهب ١٦٣٩ ، ولكن لم يتم تثبيت الحدود (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١١) .

توجد من وجهة نظرنا ومن استقراء المعاهدات أسباب لهذه الظاهرة وهي : يتشكل الاكراد الذين يعيشون في مناطق الحدود عاملا مقلتا بالنسبة لكلتا الدولتين ، يتكيف مع الجانب الذي يتفق مع اوضاعه السياسية . ويبدو أن تخطيط الحدود لشق الشعب الكردي امر غير واقعي . ولم تهتم هاتان الدولتان بوضع خط ثابت للحدود قدر اهتمامهما بمناطق النفوذ ، ولعل أوضح مثل على هذا الموقف هو النزاع على حاكم السليمانية (اليوم شمال العراق) الذي كانت بغداد قد عينته هناك ، فقد طالبت ايران بحق التشاور والموافقة على تعيينه . فضلا عن ذلك كان يستوطن الحدود بدو رحل لم يندمجوا في هذه الدولة أو تلك . وجرت محاولات في المعاهدات التالية لحل هذه المشكلات ، حيث لم تطالب هذه الدول بالسيادة على مناطق معينة محددة بل على قبائل معينة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٣ - ٢٠) .

ومن عام ١٦٣٩ فصاعدا كانت مناطق السليمانية وذهب موضوعا دائما للنزاع ومعاهدات السلام التالية . ولم يرد ذكر في هذا الوقت للنزاع الحالي

حول مر شط العرب في أية اتفاقية ، ولكنه أصبح في القرن العشرين أهم مشكلة بين بغداد وطهران ، حيث أن الملاحة لم تصبح مهمة الا في نهاية القرن التاسع عشر وبذلك ازدادت قيمة شط العرب ومنذ عام ١٩٣٦ لم تعد دول المنطقة تتصارع على الحدود بل على مناطق النفوذ (١) .

وهناك موضوع آخر للنزاع في الحرب الحالية بين ايران - العراق لم يلعب أى دور في المعاهدات والنزاعات التي ذكرت أعلاه : النزاع على ولاية خوزستان (الاحواز) . وكانت هذه الولاية الواقعة على الخليج حتى عام ١٩٢١ امارة مستقلة ، تماما مثل اقاليم إيرانية أخرى .

وأقامت الولايات الايرانية المستقلة ، بوصفها امارات عربية علاقات خاصة مع الدولة العثمانية ، التي كانت قد وافقت عموما في اتفاقيات مختلفة على سيادة ايران على هذه المناطق (٢) . وقد ارتكزت المطالب العراقية عند بداية الحرب الحالية مع ايران على « تحرير » هذه الولايات ، وخلصت في ظروف النزاع الجديدة التي سنعرضها في الفصل السادس من هذا الكتاب .

١ - ٣ - حروب ومعاهدات

(١) معاهدة ذهب في ٨ مايو ١٦٣٩ :

احتوت كثير من الاتفاقيات ، التي ابرمت بين الدول العثمانية والايرائية على مدى العمليات الحربية التي استغرقت اكثر من مائة عام ، على اتفاقيات هدنة واتفاقيات سلمية وتم تحديد مناطق النفوذ لأول مرة في عام ١٦٣٩ .

وأهم ما تضمنته اتفاقية ذهب ما يلي :

- ابقاء ولايتي البصرة وبغداد في أيدي الدولة العثمانية .
- احترام وحدة القبائل البدوية . تسيطر الدولتان على قبائل معينة وليست مناطق معينة .

- عدم تحديد خط الحدود ، أما بالنسبة لخصوصيات جغرافية معينة مثل سلسلة جبال زاغروس ، التي كانت تحت سيطرة الدولة الايرانية ، فقد وضعت تسويات خاصة بها .

- تحديد مناطق النفوذ في كردستان وقيام تعاون مشترك ضد مطامع الامارات الكردية المحلية في الاستقلال .

(١) أنظر في هذا العدد نصوص الاتفاقيات المهمة في الملحق .

(٢) مثل ملحوظة رقم ٢ .

(ب) معاهدة ارتسبروم الاولى في ٢٨ مايو ١٨٢٣ :

لم تكن فترة المائتي العام بين معاهدة ذهب ومعاهدة ارتسبروم خالية من الاعمال الحربية . وهكذا غزت الدولة الايرانية بغداد ، ولكن أمكن تسوية أغلب النزاعات بناء على اتفاقية ١٦٣٩ . غير أن نشوب الحرب من جديد في عام ١٨٢١ أدى بعد عامين الى اتفاقية ارتسبروم الاولى ، التي استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

— عدم تدخل الدولة الايرانية في الشئون الداخلية لولاية بغداد وكردستان اللتين أعيد تأكيد تبعيتها للدولة العثمانية .

— تنظيم مناطق المرعى للقبائل البدوية .

— حق الايرانيين في الحج الى مكة والمدينة (وكلتا المدينتين كانتا ضمن التراب العثماني) وحرية العبور الى المقدسات الشيعية في العراق .

— اتفاق جديد للتعاون ضد القبائل الكردية والامارات التي حاولت استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

(ج) اتفاقية ارتسبروم الثانية في ٣١ مايو ١٨٤٧ :

ونظرا لان الاتفاقيات السابقة لم تسو مشكلة رسم الحدود بل اهتمت بمناطق النفوذ — نشبت مصادمات عسكرية بين الدولة العثمانية والايروانية . واحتل حاكم بغداد العثماني في عام ١٨٣٧ مدينة خورامشهر الايرانية (غالبيتها من السكان العرب) ، اما الايرانيون فقد احتلوا عام ١٨٤٠ السليمانية في شمال العراق وهددوا بغزو الكويت والبحرين ولما رأت روسيا وبريطانيا ، اللتان تتمتعان بامتيازات عديدة ومصالح اقتصادية في مناطق نفوذهما (روسيا في ايران ، وبريطانيا في العراق) أن الحرب تعرض مصالحهما التجارية والملاحة الآمنة في الخليج وشط العرب — للخطر ، تدخلتا للتوصل الى اتفاق سلمى ، وتتضمن معاهدة ارتسبروم الثانية ، التي تم التوقيع عليها تحت تأثير وفي وجود كلتا الدولتين الكبيرتين ، التسويات التالية :

— اعادة مدينة خورامشهر المحطة واقليم الاهواز .

— اعادة السيادة العثمانية على السليمانية .

— تنظيم عملية الملاحة في شط العرب وحق السفن الايرانية في المرور الحر في شط العرب .

— تكوين لجنة تضم ممثلين للدول الاربعة (العثمانية والايروانية وروسيا وبريطانيا) لتنظيم خط الحدود . ولكن عرقل عمل هذه اللجنة نشوب نزاعات واحداث جديدة . فضلا عن اندلاع حروب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ .

ولم تتوصل الاجتماعات التالية في اعوام (١٨٦٩ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٦) الى
اية نتائج ملموسة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٨ - ٢٢) .

(د) بروتوكول طهران في ٢١ ديسمبر ١٩١١ :

مع بداية القرن اعشرين ظهرت اعراض التدهور على الدولتين العثمانيه
والايرانية واصبحتا في غاية الضعف لدرجة لا تمكنهما من تحقيق مطالبهما .
وسعت الدولتان الاوربيتان الكبيرتان المتنافستان (روسيا وبريطانيا) الى
تنظيم جديد لمناطق نفوذهما في الشرق الاوسط .

ويعد اكتشاف البترول في الاقاليم الجنوبية لايران في عام ١٩٠١ ومع
بريطانيا حقوق استخراج البترول - أصبحت ايران محور المصالح البريطانية
واستطاعت الدولتان المتنافستان بعد نزاع استغرق ما يقرب من مائة عام
تحديد مناطق نفوذهما في ايران في المعاهدة الروسية البريطانية عام ١٩٠٧
فأصبح الجنوب الآن من حق « بريطانيا » ، أما الشمال فقد أصبح من حق
« روسيا » (هرويتسى ١٩٥٦ ص ٢٦٦ ف) . وفي هذا الصدد سعت
كلتا الدولتين الكبيرتين الى حل لمشكلات الحدود ، التى تبلورت في بروتوكول
في اجتماعات طهران . ولكن فشلت في طهران الجهود الرامية للتخطيط ائنهائى
للحدود ، وحولت مرة اخرى الى لجنة للحدود . واصدرت الدولتان العثمانية
والايرانية بيانات بالتنازل عن حل مشكلات الحدود بينهما بالوسائل العسكرية
وتحويل مشكلات الحدود التى لا حل لها الى محكمة العدل الدولية في لاهى
(زكى ١٩٦١ - ص ٢٢٦ ، انظر الراوى ١٩٨٠ ص ٢٥) .

(هـ) بروتوكول اسطنبول في ١٧ أكتوبر ١٩١٣ :

امكن في هذا البروتوكول ، الذى تم تحت ضغط ووجود كلتا الدولتين
الاوربيتين الكبيرتين ، التوصل لأول مرة الى تسوية لخط الحدود . وكلفت لجنة
الحدود التى كانت تتكون من اربعة من ممثلى الدول الاربع بتحديد علامات
الحدود وتضمن البروتوكول الاتفاقيات التالية :

— اخضاع الجزر العديدة الواقعة أمام اقليم عبادان للسيادة الايرانية
وكذلك جميع الجزر التى تنشأ على مر الزمن (ظاهرة جغرافية في هذه
المنطقة) .

— تبعية شط العرب للدولة العثمانية ، ويشكل الساحل الايسر
(الشرقى) حدود الدولة الايرانية .

— تأمين الملاحة الحرة في شط العرب وفي قارون بالنسبة لكلتا الدولتين
وحلفائهما أيضا .

— تختص لجنة الحدود بالاتفاقيات الثلاث :

في حالة عدم اتفاق ممثلي الدولتين العثمانية والارانية يتعين نقل آرائهما في خلال ٤٨ ساعة لممثلي الدولتين الكبيرتين ، الذين يتولان الفصل في موضوعات الخلاف وتكون قراراتهم نهائية (الراوى ١٩٨٠ ص ٢٧ - ٢٩ .
(و) قرارات لجنة الحدود عام ١٩١٤ :

استأنفت لجنة الحدود الرباعية أعمالها في بداية يناير ١٩١٤ وانتهت في ٢٦ نوفمبر من نفس العام وفي هذه الفترة وضعت علامات الحدود بمحاذاة الخط المحدد وتم تصوير هذه الحدود فوتوغرافيا ، فقد سجلت التفاصيل في ٨٧ فصلا ، كانت تحتوى على أول وصف دقيق لمسار الحدود بين كلتا الدولتين . واتخذت فيما بعد أساسا لكل المفاوضات الخاصة بالحدود بين ايران والعراق .

١ - ٤ الصراع العراقي الإيراني بعد الحرب العالمية الاولى :

أدى زوال الدولة العثمانية الى اعادة تنظيم المنطقة وفتح الباب أمام صراعات جديدة بين الدولتين الحديثتين ايران والعراق . وقامت بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية أثناء الحرب العالمية الاولى بتقسيم المنطقة الى مناطق نفوذ في اتفاقية « سامكس بيكو » (هروفيتس ١٩٥٦ ص ١١٢ ف) . وغزت بريطانيا العراق في عام ١٩١٧ واصبحت طبقا لمفاوضات السلام في باريس دولة مندوبة وظلت تحكم العراق حتى عام ١٩٣٢ ، بالرغم من اعلانه دولة مستقلة في عام ١٩٢٢ (ابراهيم ١٩٨٣ ، ص ٣٠٨ - ٣١٠) . غير أن مصر كردستان الجنوبية (شمال العراق الآن لم تكن قد حسم بعد . وكانت كردستان بين عامي ١٩١٩ ، ١٩٢٤ مملكة ، وشجعت معاهدة « سيفريه » مساعيها الاستقلالية ، ولكن سرعان ما نسفت هذه المساعي في مؤتمر لوزان بسبب تغير موازين القوى السياسية العالمية (انظر ابراهيم ١٩٨٣ صفحة ٢٩٠) .

وطالبت تركيا ، التي اعتبرت نفسها وريثة للدولة العثمانية وكذلك العراق الذي تأسس حديثا ، بهذه المناطق التي كانت تتمتع بأهمية استراتيجية واقتصادية (مصادير البترول) ، (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٢٨٠ - ٢٨٨ - ص ٣١٢) . وفي عام ١٩٢٥ أصبحت المنطقة ومقرالقرار عصابة الامم جزءا من الدولة العراقية (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٣٠٨ - ٣١٠) .

واستغلت ايران عدم استقرار الدولة العراقية الحديثة النشأة والصعوبات الداخلية التي تواجهها وطالبت باعادة النظر في الحدود التي قد تم رسمها في عام ١٩١٤ ، بحجة أن هذه التسوية لم تكن في صالحها ، ولم تعترف ايران بالعراق برغم العديد من الوساطات الدولية (بريطانيا) وأعرضت على الرأي العراقي الذي يفيد بان الدولة الجديدة جزء موروث من الدولة العثمانية (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ٣٧) .

وساعد عاملان على اشتعال النزاع من جديد :

(أ) استيلاء رضا خان قائد الجيش الإيراني في عام ١٩٢١ (أطلق عليه شاه ابتداء من عام ١٩٢٥ على السلطة السياسية في إيران بعد انقلاب عسكري وانشأ بمساعدة العسكريين وبتأييد من بريطانيا دولة مركزية أخضعت مراكز القوى المحلية لضغوط مكثفة . وهكذا وضع اقليم — الاحواز الذي كان على سبيل المثال امانة عربية ، ومنطقة للنزاع بين الدولة العثمانية والإيرانية ، لسلطة مركزية وفي عهد الشاه بدا تكوين قومية إيرانية جديدة بعيدة عن الإسلام والعرب باحثه عن قواعدها في تاريخ ما قبل الإسلام . وانفجرت بتلك اضطرابات جديدة في العلاقات مع العراق .

(ب) يشكل الشيعة في منطقة العراق ما يربو عن نصف الشعب وكانت الإدارة السنية العثمانية تسيء معاملتهم . وقاموا في عام ١٩٢٠ بمقاومة نشيطة للاحتلال البريطاني وساهموا بذلك جوهريا في استقلال الدولة الحديثة ، التي سيطر فيها السنيون على الحياة السياسية بعد تسليم التاج العراقي لفیصل بن حسين الذي جاء من مكة ، وسرعان ما نشأت سيطرة سنية على جهاز السلطة الحديث النشأة ، وبذلك تم إبعاد الشيعيين عن مراكز السلطة . وسنحل كلا هذين العاملين تحليلا تفصيليا في الفصل السادس .

ازدادت حدة التوتر على طول الحدود بدءا من عام ١٩٢٤ (١) . كما أن قانون الجنسية الذي أصدره العراق في عام ١٩٢٤ لم يضمن الجنسية العراقية الا لمواطني الدولة العثمانية (الراوى ١٩٨٠ ص ٤٢ ف) . وبهذا القانون لم يمنح النظام العراقي الجنسية لمائتي الف شيعي ممن يحملون الجنسية الإيرانية كانوا يعيشون عبر أجيال على التراب العراقي وأغلبهم من العرب الذين حاولوا اللوآذ بالدولة الإيرانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، لمجرد الهروب من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني وظلت هذه المشكلة مثار توتر دائم من العشرينيات وحتى يومنا هذا ولم يتم التوصل الى حل .

وعلنت إيران رفضها الاعتراف بالعراق لوضع الطائفة الإيرانية التي تعيش في العراق . ولم تعترف إيران بجارتها الا تحت ضغط بريطانيا في عام ١٩٢٩ وأجريت محادثات ثنائية ، غير أنها لم تسفر عن أي حلول مرضية للمشكلات القائمة . وقامت الحكومة العراقية بتطبيق قانون إقامة الاجانب

(٤) وثائق وزارة الخارجية الإيرانية ١٩٢٩ رقم ٢١ الفصل ١٦ ، طهران .

بشكل غير مقبول من جانب ايران . وظلت مشكلة الحدود في شط العرب وكذلك مشكلة الملاحة بدون حل (١) .

قدم كل من العراق وايران مذكرة بمطالبهما الى عصبة الامم في عام ١٩٣٤ التي لم تتوصل الى قرار واكتفت بدعوة الدولتين لحل المشكلة . وكان اهم مطلب لايران هو تقسيم السيادة على شط العرب ورسم الحدود بمحاذاة طريق الوادي على جانبي الممر المائي (٢) .

وادت الاتهامات الغربية والبريطانية لاقامة تحالف اقليمي مناهض للسوفييت الى اجراء مفاوضات جديدة والى ابرام اتفاقية جديدة بين كلتا الدولتين تم التوقيع عليها في ٤ يولية ١٩٣٧ (٣) . وجاءت هذه الاتفاقية منفذة لمطلب ايران حول تحديد الحدود في شط العرب على طول طريق الوادي ، اما المطالب الاخرى الخاصة باجراء تعديلات في الحدود واقامة ادارة مشتركة للملاحة فلم توضع في الاعتبار .

وبناء على الوضع الجديد اقتربت الدولتان احدهما من الاخرى بوصفهما شركاء في حلف مناهض للسوفييت ، واقامتا حتى عام ١٩٥٨ علاقات وطيدة وهادئة الى حد ما (٤) . وتوارت مشكلة الحدود الى الخلف . وسنقوم بتحليل هذا البعد الاقليمي الذي كان له — من وجهة نظرنا اثر في علاقات الدولتين منذ عام ١٩٣٢ في فصل خاص .

دخلت الدولتان مرحلة جديدة من مراحل التوتر بسبب الثورة العراقية في عام ١٩٥٨ التي اطاحت بالملكية الحليفة للبيت الحاكم الايراني . واعلنت ايران في ١٩ ابريل ١٩٦٩ ان اتفاقية عام ١٩٣٧ غير سارية المفعول (فريدمان ١٩٨١ ص ١٦٦) . وتميزت علاقات البلدين في الفترة ما بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٥ بالتوترات على الحدود وتأييد القوى المعارضة في البلد المجاور والتناكس على السيطرة في الخليج . ونصت اتفاقية الجزائر في مارس ١٩٧٥ على ضرورة

(١) تقرير السفير فيروخي ، في : وثائق ، طهران عام ١٩٢٠ ،
انظر تقرير السفير الايراني خاديمي في بغداد ، في : وثائق
طهران عام ١٩٣٠ .

(٢) تقرير السفير الايراني لدى عصبة الامم ، وثيقة
طهران ، عام ١٩٣٤ .

(٣) وثائق ، طهران رقم ٣ الفصل الخامس عشر .

(٤) انظر في هذا الصدد : الكتاب السنوي لوزارة الخارجية الايرانية
عام ١٩٥٨ .

وضع حل نهائى لمشكلات الحدود ومشكلات التعاون الامنى . غير أن الثورة
الايرائية التى قامت عام ١٩٧٩ وتغير موازين القوى فى المنطقة الغى هذه
الاتفاقية من أساسها .

١ - ٥ - اتفاقية الجزائر

تعد هذه الاتفاقية المبرمة فى ٦ مارس ١٩٧٥ آخر اتفاقية بين ايران
والعراق وتعتبر من وجهة النظر الدولية اساسا لاية تسوية سلمية للحرب
الحالية . وقد اثر عاملان جديان على مضمون وتشكل هذه الاتفاقية فضلا عن
نحلة الحدود التاريخية ، وهذان العاملان هما :

— الصراع الاقليمى وكذلك التنافس على السيادة فى الخليج . وادى هذا
لتنافس فى عام ١٩٧١ الى احتلال ايران لثلاث جزر فى الخليج (انظر هاليداي
١٩٧٥ ص ٨٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٢) .

الحركة القومية الكردية فى العراق ، التى اخذت ابتداء من عام ١٩٧٢
بناء على مساندة ايران والولايات المتحدة لها ، بعدا أكثر اتساعا . وتعين على
العراق الاعتراف بالمطالب الايرانية مقابل انهاء الدعم الايرانى للحركة الكردية (١)
وجدير بالذكر ان الشاه وصادق حسين نائب رئيس الوزراء العراقى سابقا
قد اتفقا فى اطراف قمة الأوبك التى عقدت فى الجزائر على النقاط التالية :

— وضع تسوية نهائية للحدود على أساس بروتوكول اسطنبول لعام ١٩١٣
وملفات لجنة الحدود فى عام ١٩١٤ .

— تحديد الحدود فى شط العرب على طول طريق الوادى .
— اعادة الأمن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة وكذلك رقابتهما
المشددة لمواجهة العبور غير الشرعى للحدود وما يترتب عليه من أعمال تخريبية .
تعتبر الملاحق المتفرقة للاتفاقية أجزاء من تسوية شاملة ، ولو خرق بند
واحد من بنود الاتفاقية تلغى الاتفاقية بأكملها (٢) .

وتتفق الفقرتان الاوليتان مع المطالب الايرانية . ويتبين من قراءة الفقرة
الرابعة والثالثة استعداد العراق لتقديم تنازلات . وحيث انه لم يرد اشارة
مطالبة العراق بالجزر التى تحتلها ايران فى الخليج ، فان ذلك يعنى من الوجهة
الواقعية التسليم بضم ايران لهذه المناطق .

(١) انظر فى هذا الصدد : وثائق الكونجرس الامريكى (تقرير المخابرات
الامريكية الرئيس لا يريديك أن تقرأ) ، صوت القرية بتاريخ ١٦/٢/٧٦
ص ٧٠ - ٩٢ .

(٢) انظر فى هذا الصدد نص الاتفاقية فى الملحق .

وهذه علاقات كلا البلدين حسنة حتى قيام الثورة الإيرانية ، وتجلى هذا الاستقرار في العديد من الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية . ولكن عاد التوتر من جديد بعد نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، وفي ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ - أى قبل بداية الحرب بأيام قليلة - ألغى العراق اتفاقية الجزائر بسبب عدم تنفيذ إيران للاتفاقية الثالثة .

١ - ٦ - هل هو ارث التاريخ ؟

يبين الموجز السابق لقصة الصراعات والحروب والاتفاقيات بين الدولة الإيرانية والعثمانية وبين الدولتين الحديثتين إيران والعراق ، جنود الحرب الإيرانية العراقية ويوضح مجال الرؤية التي تستند إليها الحرب الحالية وبخاصة مشكلات الحدود والمطالب الإقليمية المختلفة .

ونحاول هنا فى نهاية معالجتنا للموضوع من الناحية التاريخية أن نبرز مدى تأثير الارث التاريخى على اندلاع الحرب وما هى العوامل التى يتعين وضعها فى الاعتبار .

(أ) لم يؤثر الانتماء المذهبى على النزاعات الدائرة بين كلتا الدولتين القديمتين فقط ، بل ايضا على كيان الدول الحديثة . وقدمت إيران نفسها فى هذه الحروب كدولة شيعية ، سيطر على جهازها الرسمى الطابع الدينى والمذهبى . وتسببت علاقات إيران مع الأغلبية الشيعية فى العراق فى نشوب سلسلة من الصراعات فى التاريخ الحديث .

(ب) يعتبر هيكل المجتمع العراقى والدولة العراقية الحديثة مرآنا لهذه التطورات التاريخية . ويرجع التقسيم المذهبى والعرقى فى العراق الى الحروب والنزاعات المذكورة . وتشكل الأغلبية الشيعية ، التى أبعدها الحكام السنيون عن مجالات السلطة ، عنصر سخط ، وقد تصبح تحت ظروف معينة حليفاً لإيران الشيعية . كما أن الأكراد الموزعين على كلتا الدولتين كانوا ، ولا يزالون ، عامل قلق فى هذا الصراع .

(ج) وهناك خلفية تاريخية لمشكلة الجنسية ، التى تظهر فى البيانات الرسمية لكلا البلدين كدافع للحرب ، بعد أن رحل العراق ما يقرب من ١٠٠ ألف مواطن من أصل إيرانى .

(د) وينطبق ذلك على مشكلة الحدود المستعمية الحل وعلى المطالب الإقليمية لكلا البلدين . وازدادت حدة النزاعات على الحدود وخاصة شط العرب مع ازدياد أهمية الخليج والبعد الاستراتيجى والسياسى التجارى للملاحة .

وهناك عاملان آخران قد يعتبران ارثاً مقلداً من التاريخ ، بالرغم من أن جوانب رسمية اعتبرتها سبباً للحرب وهما : تأييد العراق لمطمع السادة

العربية في منطقة خوزستان وضم ايران لثلاث من الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية في الخليج .

وتوجد عوامل أخرى كثيرة ساهمت في اندلاع الحرب وحددت مسارها ، وهذه العوامل ما هي الا نتيجة لتطورات جديدة في هذه المنطقة . ان الاختلافات الايديولوجية التي أدت الى ظهور تناقضات في النظم السياسى (قومية عربية ونهضة الاسلام) ، وكذلك تدخل الدول العظمى والكبرى بشكل مكثف ، تعتبر ظواهر جديدة تخضع لعملية تحول مستمرة ، ولا بد من رؤيتها في سياق النظم الدولى والاقليمى الجديد .

٢ - الأبعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع

أخذ البعد الاقليمى للصراع الايرائى العراقى اشكالا جديدة بعد الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من أقلمة وتدويل النزاعات المحلية . ولم يمكن التوصل الى حل نهائى لنزاعات الحدود المزمرة . أما السؤال : لماذا أصبحت هذه النزاعات في غاية العنف في فترات معينة بينما ساد جو من التعلون بين كلا البلدين في فترات أخرى ؟ فلا يمكن الاجابة عليه الا عن طريق اجراء تحليل للعوامل الاقليمية ومصالح الدول العظمى المرتبطة بها .

ونحاول في هذا الفصل تحليل ثلاثة عوامل أخرى ساهمت بجانب التحالفات الاقليمية في اقليمية النزاع وهى : صراعات الدول العظمى ، ظهور القومية العربية وازدهار الاسلام ، حيث أثر العاملان الآخران بوصفهما جوانب ايديولوجية جديدة تأثرا بالغا على الحياة السياسية في الشرق الأوسط .

٢ - ١ - تاريخ النزاعات الاقليمية :

ساد في المنطقة جو هادى ومستقر نسبيا في فترة ما بين الحربين لأن سيطرة الدول العظمى على الشرق الأوسط استقطعت الحد من انفجار قوى الصراعات الموروثة(١) . لقد كان اهتمام الدول الغربية الرئيسى ينصب على اقامة تحالف اقليمى يقف حاجزا امام النفوذ السوفيتى . وعند بداية العشرينيات - ابان صراع الشرق والغرب الأول أرغم الاتحاد السوفيتى أهم دولتين جاريتين وهما أفغانستان وايران ، على اتخاذ موقف الحياد . ففى عام ١٩٢٠ عقد الاتحاد السوفيتى مع أفغانستان ، وفى عامى ١٩٢١ - و ١٩٢٧ مع ايران اتفاقيات صداقة ألزمت كلتا الدولتين بالحياد التام (يودفنت ١٩٨٤ ص ١٢ - ١٤ ، انظر كيليك ١٩٥٩ ص ٧١) . ولكن المصالح البريطانية

(١) انظر في هذا الصدد الفصل السادس .

الاقتصادية المتنامية في إيران (تتمتع بريطانيا بحق التنقيب عن البترول الإيراني واستخراجه وعزلة الاتحاد السوفيتي المتصاعدة ليس فقط بسبب تفاقم الوضع السياسي في بلاده — أدى الى تقرب أفغانستان وإيران الى الغرب .

ومما يسترعى الانتباه ان بريطانيا وإيران جددتا اتفاقيات استخراج النفط في عام ١٩٣٣ (بنى صدر عام ١٩٨٠ ص ١٤) . وانتهى الانتداب البريطاني في العراق عام ١٩٣٢ ، ولكن أبرمت اتفاقيات جديدة ضمنت استمرار النفوذ العسكري لبريطانيا (سلوجيت ١٩٧٦ ص ٢٦٠) . وبذل البريطانيون آنذاك تمصاري جهدهم للتوصل الى تسوية نهائية لمشكلات الحدود ، التي نوقشت في عصبة الامم ١٩٣٣ ولكن دون احراز نجاح أو توصل الى اتفاقيات ملزمة . وبعد مفاوضات طويلة تم اقامة أول حلف سياسي عسكري في المنطقة عام ١٩٣٧ ، اشتركت فيه بريطانيا وإيران والعراق وتركيا وأفغانستان . ولم يسو ميثاق « سعد أباد » لعام ١٩٣٧ مشكلات التعاون العسكري ، فقط بل أعلن أيضا الاعتراف بالحدود القائمة وأثر اجراء محادثات مباشرة لتصفية مشكلات الحدود التي لا تزال بدون حل وكذلك ايجاد حل سلمى لكل الخلافات الدولية (ميثاق سعدابان ، طهران ، يولييه ١٩٣٧) . وفي ٤ يوليو جرى في نفس المكان وكنتيجة لهذا التقارب الاقليمي التوقيع على اتفاقية إيرانية عراقية جديدة . ويتضح من الوثائق الإيرانية ان إيران نم تكن مستعدة للتوقيع على هذه الاتفاقية الا تحت ضغط بريطانيا فقط وتحت تأثير الاتفاقية العسكرية (١) .

وتلى هذه الاتفاقية سبع اتفاقيات أخرى بين كلتا الدولتين ، سويت فيها مشكلات الحدود والجنسية وقانون الامة ونظمت العلاقات التجارية الثنائية (٢) . وأثرت روح ميثاق سعد أباد على تعايش كلا البلدين في الاعوام التالية ، وخلقت جوا خاليا نسبيا من النزاعات .

أبرمت بريطانيا وإيران والعراق وباكستان وتركيا حلف بغداد ١٩٥٥ . باشتراك الولايات المتحدة كمراتب (انظر كالفوكريس ١٩٧١ ص ١٨٦) . وكان ضابع هذا الحلف المناهض للسوفييت واضحا وبخاصة فيما يتعلق بمصالحه الاستراتيجية ، حيث ان الاتحاد السوفيتي الذي خرج من الحرب العالمية

(١) تقرير السفير الإيراني لدى عصبة الامم في : الكتاب السنوي I , 4 , M طهران ١٩٣٧ ، انظر أيضا جيركه / وفينر ١٩٧٥ ص ١٦٥ .
(٢) نصوص الاتفاقيات السبع في الكتاب السنوي I , 4 , M طهران ١٩٣٧

الثانية كدولة عظمى جديدة. كان بيدل قصارى جهده للحصول على منطقة نفوذ في سوريا ومصر (دينكاوسن) (١٩٨١ ط ٤٥ ، ص ٥٤) .

وأتت الثورة العراقية في يولية ١٩٥٨ الى حدوث توتر سياسى مع ايران . وحاولت الكثير من العناصر المعارضة — وبخاصة الاكراد الذين كانوا مضطهدين في ايران — الفرار الى حكومة العراق المناهضة للامبريالية ، وعلى الجانب الآخر هرب كثير من كبار الملاك والقرى الموالية للنظام الحكى الى ايران . واصبحت كلتا الدولتين اماكن للجوء للعناصر المعارضة ، التي تتعاون معها « الدول المضيفة » . واصبحت هذه الاوضاع المتناقضة مادة جديدة للنزاعات .

وتزايدت حدة الاستقطاب لهذا النزاع الثنائى بشكل ملحوظ فيما بعد . فقد انقضت الاطاحة بالنظام العراقى ضربة قاسية بحلف بغداد ، واختيرت انقرة مقرا جديدا للخلف (، واذى ذلك الى حدوث تقارب بين العراق والاتحاد السوفيتى . واصبح للعراق اهم حليف للاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط على الاقل فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ (اخبينا ١٩٧٣ — ص ٥٢ انظر دينكاوسن ١٩٨١ ص ٣٣ ، ص ٨٥ ٨٦ ، وكذلك هارى ١٩٦٠ ص ٢٠ ف) . وادت التغييرات التى طرأت على النظام الدولى بعد الحرب العالمية الثانية الى تدنى اهمية الدول الاوربية وضعف الولايات المتحدة الامريكية الى مصاف الدول العظمى الثائدة الى قيام الولايات المتحدة بطرد بريطانيا التى كانت تعتبر اقوى دولة غربية فى الشرق الاوسط والطول محلها ، بل أصبحت بعد انقلاب ١٩٥٣ عاملا حاسما فى ايران (بنى صدر ١٩٨٠ ص ١٨ — ٢٠) . وتواكب استيلاء حزب البعث العراقى الاشتراكى على الحكم فى عام ١٩٦٨ مع واحد من اهم الاحداث السياسية بعيدة المدى الا وهو انسحاب بريطانيا من الخليج والبحر العربى . وتبعت كلتا الدولتين العظميين وحلفاؤهما الى ملء الفراغ الذى أحدثه انسحاب بريطانيا . وسعت كل من ايران والعراق — اهم واقوى دولتين فى الخليج — للسيطرة على الخليج . ولا يزال هذا التنافس طامع العلاقات بين الدولتين حتى يومنا هذا (انظر هاليداي ١٩٧٥ ص ٧٥ — ٨٠) .

وكانت مطامع السيطرة الاقليمية مرتبطة فى جنب منها بموازين القوى الجديدة بين الدول العظمى وبالعلاقات بين الدول العظمى وحلفائهما فى الجانب الآخر . واصبحت ايران اهم حليف للولايات المتحدة بجانب اسرائيل ، وعظمت ايران قوتها الاقتصادية والعسكرية الضاربة فى بداية السبعينات ، بحيث أصبحت اقوى قوة عسكرية قيادية فى المنطقة ، بل ثانى اقوى دولة (بعد الهند) فى المحيط الهندى . اما سياسة الشاه التى كان ينتهجها والتى اعطت لايران دور الشرطى الاقليمى فقد كانت ترمى الى هدفين : اولهما حماية المصالح الاقليمية الغربية ومقاومة الميول الثورية فى المنطقة . ففى اقليم « ظفار » بعمان

كانت هناك حرب عصابات يسارية تساندها الصين والعراق ، تثير قلق القوى الحاكمة في الخليج كما فجرت الثورة الفلسطينية موجة راديكالية . ولم يمكن القضاء على الثورة في عمان الا بمغفرة التدخل المباشر للقوات المسلحة الايرانية . واستولت ايران في عام ١٩٧١ على أهم ثلاث جزر استراتيجية في الخليج (أبو موسى ، وطنب ، الضمخري والكبرى) التي كانت تابعة لجمهورية الإمارات العربية (هاليداي ١٩٨١ ص ٢٥ - ٣٢ ، من ١١٢ - ١١٦ ، انظر يودفات ١٩٨٤ ص ٣٦ - ٤٨ (١) .

وادی التوقيع الداخلي في العراق (حركة المقاومة الكردية) والعوامل الاقليمية (نهضة ايران) الى التنازب العراقي - السوفيتي . ووصل هذا التنازب العراقي - السوفيتي ذروته بتوقيع معاهدة الصداقة في ابريل ١٩٧٢ وتشكيل حكومة ائتلافية بين حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي الموالي للاتحاد السوفيتي (يودفات ١٩٨٣ ص ١٠ - ١٩) .

وادی الارتفاع الهائل في أسعار البترول وما صاحبها من ارتفاع في الفوائد التي تدفقت على تسليح الجيش في كلا البلدين ، الى زيادة اطماع السيطرة الاقليمية لكلا البلدين . وتميزت هذه الفترة بهزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية ، ووقفت هذه التجربة والخوف من تورط جديد في نزاع اقليمي - عائقا أمام تطبيق مبدأ نيكسون ، الذي كان يمنع الولايات المتحدة الامريكية من التدخل العسكري المباشر بينما يسمح لها بتقوية الحلفاء الاقليميين . وأكدت زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون لايران دور وأهمية هذا البلد كعامل قوة اقليمي في مفهوم نظرية نيكسون (خوبين ، تسليبي ١٩٧٤ ص ٢٤٦ ، انظر كيسنجر ١٩٧٩ ص ٣٤) .

لم يكن الدور الذي لعبته هاتان الدولتان بالنسبة للمعارضة هو السبب في اشتعال الصراعات والاستقطاب الدولي واطماع السيطرة الاقليمية على المنطقة . وأطلق الرئيس العراقي صدام حسين على هذا الصراع ذات مرة « صراعا بالنيابة » .

٢-٢- تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة :

وصل النزاع بين ايران والعراق ذروته في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ حيث ظهر تنافس كالتا الدولتين العظميين على المستوى الاقليمي . وكثفت ايران

(١) كانت مطامع السيادة ملحوظة من جانب العراق أيضا . فقد طالب رسميا في عام ١٩٦١ بالكويت المتامة حديثا واعتبرتها جزءا من مقاطعة البصرة (خضوري ١٩٧٤ ص ٢٢٧ - ٢٣٤) وطالب في عام ١٩٧٣ بكتسا الجزيرتين الكويتيتين يوبيان وعربه ، حتى « يمكن أن يكون العراق بذلك دولة من دول الخليج » (كيلي ١٩٨٠ ص ٢٨٣) .

والولايات المتحدة تأييدها المشترك للحركة القومية الكردية في العراق وذلك بعد عقد اتفاقية الصداقة العراقية السوفيتية . وحاولت الولايات المتحدة ، كما اتضح فيما بعد من وثائق أمريكية ، من خلال تأييدها للحركة القومية الكردية الضغط على النظام في العراق للحيلولة دون تقوية التحالف العراقي السوفيتي (تقرير بيك ٢٦ ، انظر ابراهيم ١٩٨٣ ص ٧١٩ - ٧٢٤) .

واشترك الجيش الايراني الى حد ما في حرب المقاومة اليسارية التي يساندها العراق في سلطنة عمان . في هذا الوقت كان اعتماد العراق على المعونات العسكرية السوفيتية في تزايد مستمر . ولم تستخدم اسلحة ومواد حربية سوفيتية فقط في الحرب ضد الحركة القومية الكردية بل اشترك أيضا مستشارون عسكريون وطيارون سوفيت (زيم ١٩٨٠ ص ١٢) .

ورأى العراق نفسه مضطرا ، تحت الظروف المذكورة وتحت تأثير حركة المقاومة الكردية الجيدة العدة والعتاد (١٠٠ ألف رجل) ، الى ابرام اتفاقية جديدة في الجزائر مع ايران في مارس ١٩٧٥ ، خضع فيها لمطالب ايران الجوهرية . واثرت هذه الاتفاقية ، التي أبرمت تحت ظروف تورط الدول العظمى الاقليمي ، على الوضع السياسي في المنطقة وادت الى قيام تحالفات جديدة . وابتعد العراق بعد ابرام الاتفاقية عن الاتحاد السوفيتي ، واقترب من ايران والدول العربية المحافظة وبخاصة المملكة العربية السعودية . وحجب تأييده عن حركة المقاومة في عمان ، وانتهج سياسة معتدلة في المنطقة . واوضح هذا التحول السياسي تصريح صدام حسين نائب الرئيس العراقي وقتذاك ، الذي يفيد بتقديم العراق معونات عاجلة للسعودية في حالة اي غزو سوفيتي (فريدمان ١٩٨١ ص ١٨٤) . وهكذا تم الغاء الائتلاف بين حزب البعث والحزب الشيوعي الموالي للسوفيت وانكشفت العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، وازدهرت - على العكس من ذلك - التجارة مع الدول الغربية (فريدمان ١٩٨١ ص ١٧٦ ، انظر يودفات ١٩٨٣ ص ٨٧ ، ١٢٩) .

ومع ذلك لم يحدث تحول حقيقي في السياسة العراقية ، فالتنافس مع ايران وبخاصة حول السيادة على الخليج ، كان للطابع المميز للعلاقة بين البلدين . فضلا عن ان العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة لم تكن قد استؤنفت بعد ، اما العلاقات مع الاتحاد السوفيتي فكانت ذات أهمية من بعد مثلما كانت من قبل . وادت اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية والسياسة العربية التي كانت موجهة ضد هذا الصلح المنفصل في النهاية الى عدم الاستقطاب في المنطقة بل ترتب على ذلك تورط اقليمي معتد ومتشعب للدول العظمى في المنطقة . نحاول في نهاية هذا الفصل تحليل سياسة الدول العظمى في هذا الوضع الجديد قبل اندلاع الحرب الارانية العراقية .

ولم يؤد انتصار الثورة الايرانية الى تغيير الظروف السياسية في المنطقة فقط ، بل ادى ايضا الى وقف عهبة التقارب التي ككت مستمرة منذ عام ١٦٧٥ بين العراق وايران (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٦٢٧ - ٦٣٠) . ونظرا لان النزاع العراقي الايراني يوصف دائما بأنه ايديولوجي بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، فسوف نتناول فيما يلي هذين العاملين بوصفهما ظاهرتين مهمتين اقليميتين اشتركتا في تقرير هذا الحرب .

٢ - ٣ الوحدة العربية :

تعتبر القومية العربية التي سعت الى توحيد الامة العربية المقسمة انى حول عديدة - تعتبر هذه القومية ظاهرة حديثة نسبيا لم تتبلور الا بعد الحرب العالمية الثانية . فقد وجه القوميون العرب المحدثون نظريتهم متأثرين بذلك بالمفهوم الاوربي « للامة » والدولة القومية - بصفة خاصة الى الامة العربية التي قسمها الاستعمار (انظر طيبي ١٩٧١ ص ٦٨ - ٨٤) .

ظهرت الفكرة القومية في آخر مراحل الدولة العثمانية . فقد جرى التفكير في اختراع قومية عثمانية على النمط الاوربي الحديث لتحويل انظار المجتمع الاسلامي الضعيف البنية الى وحدة جديدة . غير ان ازدهار وسيطرة القومية التركية في الدولة العثمانية دفعت العناصر الكردية والعربية الى الابتعاد . وتشكلت كرد فعل على هذه السيادة التركية التصورات والاهداف القومية العربية . ومن سخرية التاريخ ان يكون المنظرون الاوائل للمفهوم الفاشل للقومية العثمانية هم الذين أسسوا القومية العربية مثل الحصري (انظر كوثراسي ١٩٨١ ص ٧٨ ف) .

وتجد بتأسيس حزب البعث الاشتراكي العربي في عام ١٩٤٧ - اول تفسير تنظيمي عن هذه الايديولوجية . وقد قدم هذا الحزب ، الذي تأسس في سوريا بمشاركة واضحة من عرب مسيحيين ، نفسه على انه منظمة عربية وحدوية وان كان له تنظيمان في بلاد عربية اخرى . وكان هدفه السياسي النضال ضد التقسيم الامبريالي للعالم العربي (انظر اسماعيل ١٩٨٣ ص ١١٠ ف ، انظر مفيزل عام ١٩٨١ ص ٣٦١ - ٣٨٣) .

وناسست في ١٩٥٢ حركة عربية قومية اخرى وهي حركة القوميين ان عرب وانعقدت الجمعية التأسيسية لهذه الحركة في بيروت باشتراك عدد كبير من طلبة الجامعة الامريكية وكثير من المسيحيين (ومؤسسها د . جورج حبش) (انظر طيبي ١٩٧١) .

وبالرغم من ان كلا الحزبين العربيين الوجوديين تشكلا في بلاد عربية مختلفة ، وكونا منظمات في بعض البلاد (من بينها العراق أيضا) بالرغم من هذا نجد ان ايديولوجية القومية العربية لم تتطور الى فكرة لها اهمية اقليمية الا في عهد ناصر . فقد اعتمد ناصر - بوصفه زعيما لأكبر وأهم دولة

عربية ، في الصراع مع إسرائيل والدول الغربية — اعتمد ناصر على افكار وتصورات القومية العربية ، بالرغم من عدم توفر القاعدة الايديولوجية لذلك في مصر نفسها . وكانت عناصر القومية العربية قد نشأت . حتى ذلك الحين في الدول العربية الشرقية بصفة خاصة . ولم تأخذ هذه الافكار شكلا اجتماعيا وايدولوجيا واضحا الا في عهد ناصر على هيئة مفهوم عربى للاشتراكية (ناصر ١٩٥٧ ، انظر خضوري ١٩٨٥ ، ص ١٧٤ — ١٨٠) .

وبرغم الصيغ والتصورات المختلفة لفكرة القومية العربية ، كانت حتمية التنظيمات والاتجاهات المختلفة تتفق في النقاط التالية :

— حتمية الثورة العربية ، ازالة الحدود التي خلقها الاستعمار بالاكراه ، واتمام امة عربية موحدة .

— مقاومة اسرائيل بوصفها دولة زرعتها الغرب في قلب العالم العربى .

— اقامة نظام سياسى واجتماعى مستقل عن الغرب والشرق ، يأخذ الشكل الاشتراكى ، ويختلف عن النموذج الماركسى السوفيتى ببعض الخواص (غفلق ١٩٦٢ ص ١٩٣ — ١٩٨ ، ص ٢٠٦ — ٢١١ ، انظر خضوري ١٨٥ ص ١٣٣ — ١٣٦) .

وهكذا أصبحت القومية العربية في الستينيات احدى الظواهر الهامة وأحد عوامل القوة في العالم العربى . ودفع تأثير القومية العربية على طبقات مثقفة وعصرية وبخاصة على أجزاء من الجيش ، دفع هذا حركات المقاومة لاعتلاء قمة السلطة . فقد استولى حزب البعث الاشتراكى العربى على السلطة في العراق في شهر فبراير ١٩٦٣ . وفي مارس من العام ذاته استولى على السلطة في سوريا ، كما قامت في اليمن الجنوبي « الجبهة الوطنية لتحرير اليمن الجنوبي » (احدى فروع حركة القوميين العرب التي تكونت في بيروت) بحملة ضد السلطة الاستعمارية البريطانية ، وأطاحت حركة التحرير الجزائرية تحت قيادة بن بيللا عام ١٩٦٢ بالاستعمار الفرنسى بعد حرب استغرقت ثماني سنوات وأبضاً بفضل الدعم الهائل من جانب ناصر .

وجدير بالذكر أن مصر في عهد عبد الناصر تولت القيادة في العالم العربى وأصبحت فكرة القومية العربية هي الحافز الرئيسى في الحرب ضد اسرائيل وسهلت أيضاً عملية التعبئة الجماهيرية في هذا الصراع . وتامت مصر بارسال قوات إلى اليمن الشمالى لمساندة القوى الجمهورية في الحرب الاهلية ضد العناصر الملكية التي تساندها السعودية . وأقامت مصر وسوريا جمهورية عربية متحدة في عام ١٩٥٧ . ولدى النفوذ المتزايد لناصر في لبنان أثناء الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٥٨ الى نزول وحدات قوات أمريكية (انظر خضوري ١٩٧٤ ص ١٨٠) .

وابت القومية العربية كظاهرة جديدة تجاوزت الحدود أى قيام تحالفات اقليمية جديدة . فانقسم العالم العربى الى جبهة راديكالية ديناميكية بزعامة ناصر وأخرى محافظة استاتيكية بزعامة السعودية والاردن ودول أخرى . وسرعان ما انفجر الصراع فى نهاية الخمسينيات بين عامى انقوه الاقليمى الطامع وهو ايران بزعامة الشاه وبين القومية العربية بزعامة عبد الناصر حول هوية الخليج هل هو عربى أم فارسى - وأثر هذا البعد الاقليمى للنزاع على ميزان القوى الاقليمى للدولتين العظميين بل أثر على مصير القومية العربية نفسها .

وكانت أهم سمات الفكر القومى العربى فى البداية هى العداء للشيوعية والاتحاد السوفيتى . وكانت الشيوعية تعتبر العدو الايديولوجى الرئيسى للثورة العربية (خضورى ١٩٨٥ ص ١٦٤ - ١٦٦) . وعلى الجانب الآخر لم تكن المواجهة مع العالم الغربى حضارية وايديولوجية ، ولم يعط القوميون العرب فى محاربتهم للاستعمار والسيطرة السياسية الغربية ومطالبتهم بالاستقلال ، اهتماما كافيا للبعد الاقتصادى والحضارى للاستقلال ، بل انهم اعتبروا النموذج الغربى هو النموذج الاساسى للدول حديثة الاستقلال . على الرغم من المواجهة السياسية فى الغرب ومقاومة وجوده . ويكمن ضعف ايديولوجية القومية العربية فى غياب الوعى بشكل هذه الايديولوجية الأمر الذى ساءد على تقدمان القومية العربية لاهميتها فى السبعينيات وعلى نهوض الإسلام .

وانتشرت النتائج السياسية على موازين المنافسة بين الدول العظمى تأثير واسع المدى . وراث القومية العربية التى حاربت المستعمرات القديمة فى اليمن الجنوبية والجزائر والنظم التى يزيد بها العرب وكذلك اسرائيل التى يؤيدها الغرب أيضا رأت نفسها مضطربة مع انوفت ، برغم الموقف المناهض صراحة ناشيوعية ، الى التحالف مع الاتحاد السوفيتى . وأصبحت القومية العربية بعد تأييد الاتحاد السوفيتى لمصر فى حرب ١٩٥٦ - والتطورات الثورية فى العراق وبعض دول عربية أخرى قناة النفوذ للاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية . كما شكلت الانظمة القومية العربية فى العراق وسوريا وأيضا فى مصر فى عهد ناصر التى كانت تقوم بقمع ديموى للمعارضة الموالية للسوفيت - شكلت هذه الانظمة تحالفا اقليميا مع الاتحاد السوفيتى موجها ضد الغرب .

ولم يكن هذا التحالف اختراقا لتحفظات القومية العربية المناهضة لاشيوعية ، بل انهما اختراقا للعقيدة السقاليته المناهضة القومية فى الايديولوجية السوفيتية . ولم يتوقف الجادال الايديولوجى الذى استعززت سنوات طويلة مع القومية العربية الا بتطبيق مبدأ خروشوف المسمى الذى

اعترف بالمضنون التقدمى والمناهض للاستعمار للايديولوجية القومية العربية
صانع ١٩٨٣ ص ١١٨ - ١١٩ ، انظر داويشا ١٩٨٢ ص ١٠ ف .

وثمة ركن هام في موضوعنا هو وضع الاسلام في مفهوم القومية العربية
وتختلف مواقف القومية العربية المختلفة من الاسلام اختلافا كبيرا . ولقد
أكد ناصر أهمية الاسلام بالنسبة للقومية العربية وارتباط الاسلام بالقومية
العربية (انظر ناصر ١٩٥٥ ، خضورى ١٩٨٥ ص ١٨١ ف ، ١٩٤) . ويعود
رأى ناصر الى النفوذ القوى للاسلام في بنية المجتمع المصرى . غير ان حزبا
البعث في العراق وسوريا اتخذوا موقفا متباعدا وناقدا للاسلام ولا يرجع ذلك،
في المقام الاول الى تركيبة قيادة الحزب .

عموما كانت القومية العربية علمانية . وظهر ذلك من مثال حزب البعث
- وكانت هذه الايديولوجية تهدف الى فصل الدين عن السياسة ولا ترى في
الاسلام الا ارثا تاريخيا . فقد ساهم الاسلام في الواقع في تكوين الامة العربية ،
عمر أنه مرفوض من وجهة النظر العصرية لانه عنصر محافظ ورجعى ولا يقدم
اى بديل سياسى واجتماعى (عفلق ١٩٦٣ ص ١٢٢ - ١٣٦) ، انظر (زيادية
١٩٨١ ص ١١١ - ١١٨) . واصبح واضحا ان هناك حتية للمواجهة بين هذا
المفهوم الايديولوجى وبعض التيارات الاسلامية .

وتدهور حزبا البعث في العراق وسوريا للصراع بين مراكز القوى المتنافسة
بعضها مع بعض ، كما انمحت الناصرية بموت مؤسسها فى عهد السادات . وحاول
العراق استغلال عزلة مصر بعد اتفاقية السلام مع اسرائيل ، ليتولى قيادة العالم
العربى . وساعد في تنفيذ هذه المطالب السياسية عوائد البترول النسخمة
وتدعيم القوة العسكرية وكذلك الطموح الشخصى للرئيس العراقى صدام حسين .
فالعراق يمثل - وفقا لفكرة عربية قومية قديمة - البوابة الشرقية للعالم
العربى ، التى تستطيع حماية الوحدة العربية من اى تهديد خارجى ياتيها من
دول غير عربية .

٢ - ٤ - الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية

نظرا لان مفهوم الوحدة الاسلامية مرتبط بالنهضة الاسلامية الحديثة وكذلك
بالثورة الاسلامية فى ايران ودائما ما يعتبر ظاهرة أساسية فى الحرب العراقية
الايرانية الحالية - وهذا سبب يؤدي دائما الى سوء التفاهم - أصبح من الضرورى
شرح العلاقة ما بين الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية .

ويرجع مفهوم الوحدة الاسلامية الى المصلح الاسلامى جمال الدين الافغانى،
الذى أراد ان يضيف بافكاره وحركته السياسية فى نهاية القرن الماضى بعدا اسلاميا
جديدا على الدولة العثمانية التى تعرضت لاختراق غربى متعدد الجوانب فاقترح

الأمناني العديد من الإصلاحات بهدف استقلال البلاد الإسلامية عن النفوذ الغربي ويهدف اتحاد الشعوب الإسلامية بحيث يتولى العرب بوصفهم أكبر شعب إسلامي دور القيادة . وبرغم الصدى الواضح لهذا المفهوم - والذي لا يزال يؤثر للآن - نجد أن ذلك لم يؤثر في مصير « الرجل المريض » . (عمارة ١٩٨٥ ص ٣١٣ - ٣١٦ ، انظر خضوري ١٩٨٠ ص ٧١ - ٧٧ ، انظر اقبال ١٩٨٥ ص ٨٧) .

ولم يؤثر المفهوم الإسلامي بعد انهيار الدولة العثمانية أدنى تأثير على السياسة الموضوعية كما كان من الصعب أن يكون هذا المفهوم بديلا موضوعيا للدول القومية . ولا يمكن النظر الى النهضة الإسلامية في السنوات الأخيرة الا في الاطار المحدود لها لهذه الافكار التاريخية (انظر عمارة ١٩٨٥ ص ١٦٧ - ١٧٠) .

ولم يظهر في مرحلة ما بين نهاية الحرب العالمية الاولى (انهيار الدولة العثمانية) ونهاية السبعينيات (ظهور « النهضة » الإسلامية العصرية الجديدة) أى حركة إسلامية كبديل سياسى ، باستثناء (الإخوان المسلمون) . وحكمت الدول الحديثة طبقات عصرية وقوى قومية (قومية عربية وقومية إيرانية وقومية تركية) أهملت دور الإسلام كعامل سياسى .

ولكن المؤسسة الدينية وبعض جماعات إسلامية أخرى كانت تعترض على السياسة العصرية التى تعترض على تدعيم الإسلام كبديل سياسى . غير أن المنظمات الإسلامية ، مثل (الإخوان المسلمون فى مصر) ، تصالحت مع الدولة الحديثة منذ عام ١٩٢٨ وقصرت أنشطتها السياسية على تنفيذ الإصلاحات الإسلامية داخل هذه الدول (انظر خضوري ١٩٨٥ ص ٨٨ - ٩٦) وتعد النهضة الإسلامية اليوم تعبيرا عن المواجهة مع الحضارة الغربية ونتيجة لها . فهى تمثل حركة تاريخية فى جزء من العالم الثالث ، ينعكس عليه دائما الصراع بين الشمال والجنوب الذى ينتهى دائما الى طريق مسدود . ولا يمكن تفسير النهضة الإسلامية - كما تقدمها وسائل الاعلام الغربية خطأ ، على انها عودة الى الدين بل انها تتضمن قبل كل شىء عوامل حضارية وسياسية متعددة . فالاستعمار وما اكبه من تطور اجبارى أدى الى اغتراب عميق وأزمة اجتماعية متعددة الجوانب فى المجتمعات المستعمرة ومجتمعات ما بعد الاستعمار ، وتشكل هذه الأمور الخافية التاريخية للنهضة الإسلامية .

ودفع انهيار القومية - وبخاصة العربية - وكذلك البناء الضعيف والهش للدول القومية الحديثة فى الشرق وعدم كفاءة الطبقات الحاكمة فى ضمان تطور اجتماعى يتناسب مع ظروف مجتمعاتهم ، دفع هذا كله - بجانب عوامل أخرى كثيرا من الناس وبخاصة الدوائر المثقفة للبحث عن بديل جديد فى الإسلام بوصفه نظاما اجتماعيا قائما منذ أكثر من ألف عام ويتطور باستمرار . ويمكن فهم النهضة الإسلامية اذا وضعنا نصب أعيننا فشل عملية التحديث طبقا

للمنموذج الغربي (مثل تركيا ، وايران فى عهد الشاه) ، وفشل البدائل
اليسارية التى حاولت فرض نموذج غريب على المجتمع دون مراعاة لتاريخ
وحضارة وتقاليد البلاد .

وإذا كانت الثورة الاسلامية فى ايران قد استفادت من طموحات النهضة
الاسلامية فى المنطقة فانها لم تكن سببا بل رمزا لهذه النهضة . وبجانب
الثورة الايرانية يمكن رصد احداث اخرى تشير الى أن الاسلام أصبح عاملا
سياسيا جوهريا فى المنطقة (انظر ديكمبيان ١٩٨٥ ص ٦ - ٨) :

— احتلال المسجد الحرام فى مكة والتعدى فى الاقليم الشرقى من
السعودية .

— المقاومة الاسلامية ضد الغزو السوفيتى لافغانستان .

— الحركة الاصولية الاسلامية المسلحة ضد نظام البعث فى سوريا .

— اغتيال الرئيس السادات وإزدياد قوة التيارات الاسلامية فى مصر
بعد الاغتيال .

— النهضة الاسلامية فى السودان وتطبيق الشريعة الاسلامية فى هذا
البلد .

— الانتفاضات الشعبية فى الجزائر وتونس والمغرب .

— اعتداءات بالقنابل فى الكويت ومحاولات التخريب فى البحرين .

— المقاومة الاسلامية والاعمال الانتحارية فى لبنان ضد الاسرائيليين
والقوات الفرنسية والامريكية (ويكجيان ١٩٨٥ ص ٣) .

ورغم اختلاف هذه الاحداث نجد أن هناك شيئا واحدا يربط بينها وهو
رفع راية الاسلام . ولقد أصبح الاسلام الايديولوجية الرئيسية فى العالم
الاسلامى ، ومع ذلك لا يزال المصير السياسى لهذه النهضة الاسلامية
الجديدة غامضا . فالنهضة الاسلامية نفسها ليست ظاهرة موحدة على
الاطلاق فكثير من الاتجاهات الاصولية المتطرفة التى تسمى بمصير النهض
الاسلامية الى طريق مسدود . ويجب مراعاة الجوانب التالية عند النظر الى
العلاقة بين القومية الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية فى ايران .

(١) بالرغم من أن الهدف المعلن للحركة الاسلامية هو اقامة وحدة
اسلامية نجد أن الحركات الاسلامية المختلفة مرتبطة بالحدود القومية والنتبسية
الذهبية . فغالبا المنطلقات الاسلامية تطور انشطتها فى اطار التبعية
القومية والمذهبية فقط ، مثل حزب الدعوة فى العراق ، وجبهة التحرير
الاسلامية فى البحرين أو حركة الاتجاه الاسلامى فى تونس . وهناك بعض

الجماعات ، في لبنان مثلا تقصر انشطتها على جزء من البلد (ديكجيان ١٩٨٥ ص ١٢٧ - ١٢٩ - ١٤٩) . وتعد (الاخوان المسلمين) المنظمة الاسلامية الوحيدة التي انتشرت في بلاد متعددة . ولكن لا يوجد اتصال بين التنظيمات المتفرقة في مصر والاردن ودول أخرى ، الأمر الذي يتضح في الممارسات السياسية المختلفة . فهم يعتبرون وحدة العلم الاسلامي ، انههدف السياسي الوحيد ولكنه لا يوجد في جدول الاعمال : فليس لدى الاخوان المسلمين مفهوم اسلامي وحدوي حديث (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٨٥-٨٩) .

(ب) شهدت ابليدان الاسلامية في الآونة الاخيرة خلافات قوية ، واصبحت هذه الظاهرة تشكل الوجه السلبي للنهضة الاسلامية . فعلى حين اهتم الأزهر في وقت ما - بتثبيج من ناصر وبمساعدة رجال الدين الشيعيين في كل من ايران واليمن - بالتقريب بين التيارات المذهبية المختلفة ، اظهر نشاطا في هذا الصدد - نجد أنه لا يمكن ملاحظة مثل هذه المساعي في العشرين سنة الأخيرة (انظر شلتوت ١٩٨٤ ص ١٥ - ١٦) وحتى ايران ، بالرغم من ادعائها الاسلامية على هذا المستوى لم تقم بأية مبادرة ملموسة . بل أدت الاختلافات المذهبية - مثلما يحدث في لبنان - الى مواجهات مذهبية - الأمر الذي جرد المثال الإيراني من جاذبيته للعالم الاسلامي .

ومن الجدير بالذكر أن حركة الوحدة الاسلامية التي دعا اليها الأفغانى في مستهل القرن العشرين وجدت لها في مصر وبعض دول عربية أخرى ، وليس في ايران قاعدة (انظر عبارة ١٩٨٥ ص ٢٢٣ ف ، ٢٩٢ - ٢٩٤ ، ٣٢٠) . ويقف الطابع الشيعي للنظام الاسلامي في ايران في حد ذاته حائلا أمام أى مسعى للوحدة تحت قيادة شيعية . وينطبق ذلك أيضا على الشعارات الإيرانية التي تتحدث عن نشر الثورة الاسلامية وليس مفهوم الوحدة الاسلامية .

ويعتبر النظرية الإيرانية الخاصة « بولاية الفقيه » من التعاليم الشيعية البحتة ، التي ما زالت موضع خلافات حتى داخل الاوساط الدينية الشيعية نفسها وهذه النظرية ترفضها المدارس الدينية السنية (عبارة ١٩٨٥ ص ٢٣٩ - ٢٤٤ ، انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٤٢ - ٤٦) . وقد ترتب على ذلك ضيق المجال الطبيعي « للثورة الإيرانية » غير أن النفوذ الإيراني قد يؤدي الى زعزعة الوضع في البلاد التي بها أقليات شيعية ، مثل العراق والبحرين وبعض دول أخرى في الخليج أو يؤثر على تغيير ميزان القوى في هذه البلاد بين السنة والسنة ، ولكن لا يمكن أن يؤدي الى حدوث تحول جذري واساسي أو حتى اتفاق اسلامي وحدوي مع ايران (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ١٥٦ - ١٥٧) .

على الرغم من التوجه الايديولوجى الاسلامى لايران والتوجه القومى العربى للعراق ، نجد انه قد يكون غير كاف اعتبار النزاع العراقى الايرانى تعبيرا عن صراع بين الوحدة الاسلامية والقومية العربية . وان كان هذا التخصيص يوجد فى دعاية كلا البلدين ، ولكنه لا يصلح اطلاقا لتوضيح الاسباب الحقيقية للحرب . . . ويقول آية الله خومينى .

« انكم تعرفون ان هذه انحراب بين ايران ونظام البعث العراقى عبارة عن حرب بين الاسلام والكفر ، بين القرآن والاحاد » . « يجب على الشعب الايرانى ان يعرف انه يحارب لخدمة الاسلام . دافعنا هو مبادئ الاسلام . وما زالت تقاليد المناضلين المسلمين الاوائل باقية . لقد واجه النبى صعوبات جسيمة : ولكن بالرغم من ذلك قلوبهم . واود ان الفت نظر شعبنا الى ما يلى : ان القضية هنا تتعلق بالاسلام . . ونحن نناضل من اجل الاسلام وندافع عنه » . (رسالة الخومينى فى ١٩٨٠/٩/٢٤) (٥) .

وتقول النظرية الايرانية الرسمية عن القومية :

« لا يمكن ان يكون طابع جمهورية ايران الاسلامية قوميا والا ما كانت اسلامية بعد ذلك ، لان الاسلام لا يعرف (الوطن) كمفهوم اسمى » ولكن الامة جميعا . والوطن مفهوم أدنى من الامة . . ان ايران دولة ذات شعوب متعددة . ويجب الا يرد على ذهن اى جماعة من هذه الشعوب انها تتمتع بأهمية اكبر من الاخرى » (اقبال ١٩٨٥) .

ويحدد النظام العراقى الاتجاه الدينى لقيادته الاسلامية فى تأكيد التوجه القومى بقوله :

« يفكر الخومينى بطريقة طائفية بذهبية عقسدية جامدة — ويرفض اما عن عدم معرفة أو مجرد تعنت فكرى مثل الامة والوطن ، التى لا تتعارض باى حال من الاحوال مع النواحي الدينية » (اقبال ١٩٨٥) .

وما زالت هذه التصورات موضع جدل ولا يمكن الدفاع عنها علميا . ولا يوجد هناك داع لوصف نظام البعث العلمانى بأنه كافر ، لان الدستور العراقى يعترف بالاسلام كأساس دينى للدولة . وايضا اذا رفضت القيادة الايرانية مفهوم الوطن وحددت ايران بأنها دولة متعددة الشعوب على أساس « أمة » ، فلا تكون الجمهورية الاسلامية خالية من الطابع القومى . كما أنه عند انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ منع جلال فارسى زعيم الحزب الجمهورى الاسلامى من الترشيح لأن والده من أصل أفغانى (ايتلات ١٩٨٠/١/٦) . وأرغمت الحرب القيادة الايرانية على تأكيد الطابع الاسلامى

(٥) مقتطفات من اقبال ١٩٨٥ ص ٨٥ .

للحرب فصلا عن طابعها الوطنى ، لحث الجيش على اندفاع عن الوطن الاسلامى .

وجدير بالذكر أنه منذ اندلاع الثورة حتى بداية الحرب قامت أجهزة الاعلام الايرانية بحملة دعائية قوية معادية للقومية ، غير انها لم تكن تعبيرا عن نزاع بين القومية الاسلامية والقومية العربية ، ولكن يمكن شرحها من خلال الاعتبارات التالية :

(ا) كان الاتجاه الاصولى يرمى بهذه الحملة الى هدف قومى قبل كل شىء ، اى استبعاد التيارات ذات الاتجاه القومى والوطنى من خلال اضعاف قاعدتها الايديولوجية فى اطار صراع السلطة . وكان هذا الصراع موجها بصفة خاصة ضد نفوذ الجبهة الوطنية تحت زعامة (د . سنجابى) وتيار (بازارجان) اول رئيس وزراء بعد الثورة ، الذى استندت ايديولوجياته على الاسلام وعلى التراث الوطنى لمصدق (انظر بازارجان ١٩٨٠) .

(ب) ان تصريحات بنى صدر وقطب زادة الموجهة ضد القومية العربية ، والتي قربت فيها القومية العربية من الصهيونية فيها يختص بالمجابهة السياسية لها علاقة بالعراق وتختلف القومية الايرانية ، والمطالب الايرانية بخصوص العراق والبحرين ، تلك المطالب التي عادت مرة اخرى تحت ستار ايديولوجى جديد (٦) .

ولا يوجد هناك تبرير اسلامى متزن لهذا الرفض المتعنث للقومية . فالامة الاسلامية تعتبر نفسها — مثلها يتضح فى النص المذكور اعلاه — كعصبة لشعوب مختلفة ، يعترف فيها بالانتماء لشعوب وعناصر مختلفة وبالكينونة القومية فى اطار هذا المجتمع الاسلامى .

والنزاعات الايديولوجية ، التى يصفها الجانبان دائما بأنها السبب الرئيسى للنزاع ، اى السبب السياسى لهذه الحرب ، ما هى الا وسيلة للغرض . فايران مهتمة باضعاف القاعدة الايديولوجية لنظام البعث ، أما العراق فمهتم بالحد من النفوذ الايرانى لمنع حدوث انقلاب اسلامى مفاجئ . فقد حاولت جماعات الشعب الاسلامية الشيعية فى العراق القيام باختبار للقوة مع الحكومة عن طريق القيام بمظاهرات فى شهر فبراير عام ١٩٧٧ . وقد شجع انتصار الثورة الاسلامية فى

(٦) تصريح مناهض للقومية العربية فى صحيفة النهار الصادرة فى ٧٩/١٢/٢٥ ، و٧٩/١٢/٢٣ وانظر ايضا صحيفة الوطن الصادرة فى ١٥ ، ١٩٨٠/٣/٢٣ .

ايران هذه الحركة واصبحت تمثل خطرا جسيما للنظام العراقى (انظر ديكتاتوريات
١٩٨٥ ص ١٢١ - ١٣٦) .

٢ - ٥ - الدول العظمى والدول فى المنطقة :

الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب :

أصبح الشرق الأوسط يتمتع بأهمية بالغة فى النظام السياسى الدولى
وفى سياسة الدول العظمى . ولعل العامل الحاسم فى ذلك هو البترول بوصفه
مادة حيوية بالنسبة للدول الصناعية وانوضع الاستراتيجية للمنطقة .
وقد تعرض الشرق الأوسط لضغط شديد فى الصراع بين الدول العظمى
(القورد ١٩٨٢ ص ١٤٥) .

هذا وتبورت اشكال جديدة لوجود الدول العظمى بعد انهيار دول -
الاستعمار والوصاية . وادى اعتماد النظام الاقتصادى المحلى على النظام
الاقتصادى العالمى بعد الحصول على الاستقلال السياسى الى تبسيات جديدة
ويشهد الوجود العسكرى (وحدات اساطيل ، قواعد عسكرية ، حق الاستعادة
من الموانى . الخ .) بأهمية المنطقة فى الاستراتيجية الكونية لكنا الدولتين
العظميين (انظر خوبين ١٩٨٠ ص ١٢٤ - ١٢٩) ، اللتين تريان أن انفسوذ
السياسى فى الخليج هو قبل كل شىء مفتاح التحكم السياسى فى أوربا . وهكذا
يمكن الاعتراف بأهمية بترول الخليج فى استراتيجية الدول العظمى (ستانفيل
١٩٨٢ ص ٩٧ ف) .

تساعد الصراعات المتعددة والمعقدة المتشابكة بين الدول الاقليمية
والدول المجاورة دائها على تدخل الدول العظمى وزيادة نفوذها . ولعل النزاع
الاسرائيلى العربى هو السبب الرئيسى فى وجود الدول العظمى وكذلك
فى استقطاب الصراعات (انظر بنزل ١٩٨٥ ص ٧٧ - ٨٠) . وقد أدت
الصراعات الدائرة بين كل من ايران والعراق/العراق وسوريا/اليمن
الشمالية واليمن الجنوبية/الجزائر والمغرب/الصومال واثيوبيا/وتشاد
وليبيا/وليبيا والسودان/وايبيا ومصر الى تقوية وجود الدول العظمى
الذى انعكس على الصراعات المختلفة ، حيث تميزت النزاعات الحديثة باستقطاب
تقابل الوضوح لأطراف النزاع وتعدد وتبدل مواقف أطراف الصراع من الدول
العظمى .

وأدت هذه النزاعات وكذلك الارتفاع الهائل لعوائد البترول الى تدعيم
الطاقة التسليحية مما أدى بالتالى الى عسكرة الصراعات والاعتماد المتزايد
لكل طرف على احدى الدولتين العظميين فى المجال العسكرى . وحاول العراق
بعد ابتعاده عن الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٥ البحث عن مصادر جديدة
للتسليح للحد من هذا الاعتماد (اتجه العراق الى فرنسا) : وهناك دول

أخرى وضعت حدا لعلاقات التبعية للدول الأخرى ، حيث حصلت على أسلحتها بطريق غير مباشر عبر دول ثانية وثالثة دون موافقة رسمية من الدول العظمى المتحالفة معها . وقامت مصر بتوريد أسلحة للعراق من الصين ، واستوردت إيران أسلحة أمريكية من كوريا الجنوبية ، وباكستان وأيضا إسرائيل (تقرير مريب رقم ١٢٦/١٢٥ ، ٤٠ ، انظر الجدول في الملحق) .

تميزت السبعينيات بظاهرة سياسية جديدة — وهى الازدهار العسكرى والاقتصادى للمنطقة ، الذى كانت له آثاره أيضا على ميزان القوى الاقليمى وكذلك على العلاقات مع الدول العظمى . وتعد مصر واسرائيل والسعودية وإيران والعراق دولاً طموحة اقتصادياً وعسكرياً ، بدأت تعب دوراً إقليمياً وزادت لديها نزاعاً على السيطرة الاقليمية ، كان هذا الوضع سائداً فى عهد ناصر ويسعى مبارك خليفة السادات للقيام بهذا الدور مرة أخرى . وكانت إيران تحلم فى عهد الشاه ان تكون « خامس دولة فى العالم » . ويبدو ان جمهوريه إيران الاسلاميه حققت مطامعها فى السيطرة الاقليمية والسلطة . وحاول العراق على العكس من ذلك فى بداية الحرب ، ان يظهر كدولة اقليمية مسيطرة (انظر ايوبى/خيلى ١٩٨٣ ، ص ١٤٦ — ١٥٤) . وتسعى سوريا ، التى تعتمد على رأس المال السعودى والمعونات العسكرية السوفيتية الى استغلال الحرب للقيام بالدور الذى يصبو اليه العراق .

ادى نهوض الدول الاقليمية والقوى المحلية والتغيرات الجوهرية فى علاقته الدول العظمى بعضها مع بعض . الى تحول فى العلاقات بين المنطقة والدول العظمى . وباستثناء ما تسمى بجهة الرفض والصمود (اليمن الجنوبي والجزائر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التى تتعاون فى الآونة الاخيرة مع إيران أيضا ، لم يعد يوجد محور مستقر ومتحالف مع احدى الدول العظمى . وحتى جهة الرفض — التى تتخذ طابعاً مناهاضاً لأمريكا — تفكر فى الابتعاد نسبياً عن الاتحاد السوفيتى . ولا تتخذ علاقة الدول المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى صورة موحدة بل بالعكس صورة متباينة تماماً (انظر رايت ١٩٨٣ ص ١٨٥ — ١٨٨) .

ان تسلسل الدول العظمى متنوع ويتخطى الحدود والحواجز الايديولوجية والتقليدية : فالولايات المتحدة تقيم علاقات وطيدة مع الجزائر ، كما ان الاتحاد السوفيتى يورد مواد حربية الى الأردن ويرسل مستشاريه العسكريين الى الكويت . ومن المحتمل ان يتدعم وجود الاتحاد السوفيتى فى دول الخليج فى اعقاب حرب الخليج (يودفات ١٩٨٣ ص ١٣٤ — ١٣٦) .

ويتعارض الوضع الراهن مع اتجاهات الاستقطاب . ونم يعد فى امكان أى دولة عظمى اليوم ارغام حلفائها على تسوية نزاعاتها لصالح احدى الحلفاء ، مثلما فعلت بريطانيا عام ١٩٣٧ و ١٩٥٤ . ولكن النزاع العربى

الاسرائيلي هو الوحيد الذي مازال موضع استقطاب الدول العظمى ، بالرغم من انها فقدت اهميتها هنا . فقد كان يكفى في عام ١٩٥٦ صدور بيان امريكى سوفيتى لانتهاء الحرب ، أما في عام ١٩٧٣ فقد كان لزاما على وزير الخارجية الامريكى ارغام الاطراف المعنية على تقديم تنازلات في مهمة مكرية . ولقد أسفرت جهود القمة التى بذلت من أجل تسوية في النزاع العربى الاسرائيلي عن اتفاقية كامب ديفيد بين اسرائيل ومصر وتحت مظلة الولايات المتحدة ولكن النتائج قليلة وأدت في النهاية الى طريق مسدود .

ويواجه الاتحاد السوفيتى مشكلة التوتر بين حليفه العراق وسوريا ، وهما ليسا مستعدين لأى تعاون . كما أن السياسة الاقليمية التى تنتهجها كلتا الدولتين المواليتين للغرب والحليفتين للولايات المتحدة مصر والسعودية متناقضة تماما .

وبالرغم من تدويل الصراعات الاقليمية والمحلية وتورط الدول العظمى في هذه الصراعات ، نجد أنه لم يعد في امكان الدول العظمى السيطرة عليها . وكانت النزاعات الاقليمية قبل اندلاع الحرب الايرانية العراقية تحدثت تحت نفس الظروف المذكورة اعلاه . فالحرب نفسها تؤدي الى تخفيف الاستقطاب .

وفسرت الاتفاقية الايرانية العراقية لعام ١٩٧٥ بوجه عام على انها خطوة من العراق في اتجاه الغرب . وبالرغم من ذلك رحب الاتحاد السوفيتى بهذه الاتفاقية مبدئيا (البرافدا في ١٧/٤/٧٥) وكان العراق هو الحليف الوحيد للاتحاد السوفيتى في الخليج وكان الاتحاد السوفيتى يبنى نفسه بالوصول من خلال الاتفاقية الى الخليج عبر العراق . وعلى الرغم من القمع الذى حدث للحزب الشيوعى العراقى الموالى للسوفييت فيما بين عامى ١٩٧٥ و ١٩٧٨ وتكثيف العراق لعلاقاته التجارية مع الدول الغربية ، وبخاصة مع فرنسا تلك العلاقات التى واجهت نقدا عنيفا من الاتحاد السوفيتى والحزب الشيوعى العراقى — على الرغم من هذا نجد أن الاتحاد السوفيتى تمكن من تدمير مركزه وبخاصة من خلال وجوده العسكرى (ورلد ماركيست ديفيو في ١٩٧٦/٨/٨) . كما استؤنفت أعمال التوسيع في ميناء « أم قصر » العراقى ، الذى كان مفتوحا ايضا امام البحرية السوفيتية (يودفات ١٩٨٤ ص ٣٩ ، انذر هويل ١٩٨٢ ص ٢٦) .

وصرح طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقى لتبرير الوجود السوفيتى في العراق ، انذى انتقده الكثيرون في دول الخليج ، قائلا : « قالت بعض الدول الساحلية بأنه لا يجب أن تكون لدينا هنا بحرية امريكية أو سوفيتية ، ونحن ضد ذلك لأنها كانت وسيلة لبقاء النفوذ الامريكى وابعاد السوفيتى . ان الامريكيين موجودون من قبل . . من الذى يعرض أمن الخليج للخطر ؟ نحن لا نرى خطرا

حاليا ، والاكثر أهمية من ذلك هي حرية الملاحة في الخليج » . (خوين ١٩٨٠ ص ٢٣) .

وفي الفترة التي تقارب فيها العراق من السعودية أدلى الرئيس العراقي صدام حسين بتصريحه الشهير ، « سندافع عن السعودية في حالة ما اذا أراد الاتحاد السوفيتي احتلالها » . (الصحافة العراقية ١٩/٤/٧٩) ، وذكر بعض المراقبين انذاك أن ١٦ ألف خبير سوفيتي يتركزون في العراق (٧) .

ويجب النظر الى بيان الرئيس العراقي في ضوء الانقلاب الموالي للسوفييت في افغانستان ، الذي اثار الخوف لدى القيادة العراقية من حدوث تغييرات في بلاده (فريدمان ١٩٨١ ص ١٧٠) . وبرغم الابتعاد الواضح عن الاتحاد السوفيتي واستبعاد الحزب الشيوعي ، نجد أنه ساد هدوء بين الاتحاد السوفيتي والعراق الذي اعتمد كما هو الحال من قبل على التأييد السوفيتي لتحقيق سياسته الاقليمية . وقام العراق في عام ١٩٧٨ بمبادرة لعقد قمة عربية في بغداد كرد فعل على اتفاقية كامب ديفيد ، ورحب الاقتصاد السوفيتي بذلك (نيويورك تايمز في ١١/٢٥/١٩٧٨) . وكان لبغداد وموسكو أهداف سياسية مختلفة برغم ادانتها المشتركة لاتفاقية كامب ديفيد : فالنظام العراقي الذي كان قد اوشك على التخلّص — بحرص — من تحالفه مع الاتحاد السوفيتي ، لم يفتنم لجبهة الرفض التي كان يؤيدها الاتحاد السوفيتي ، لانه كان يهتم قبل شيء بتكوين جبهة موحدة مضادة لمصر تشترك فيها السعودية والدول العربية الاخرى المحاذية . كما كان مهتما بالقيام بدور معتدل ولكن ليس انطلاقا من علاقاته الوثيقة مع غرب اوربا والسعودية . ولم تسفر محاولات الوساطة التي قام بها كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي في جولاته الى دمشق وبغداد عن أية نتائج (فريدمان ١٩٨١ ص ٢٤) .

وخلق انتصار الثورة الايرانية وما ترتب عليه من تهديد للعراق ودول الخليج وضعاً جديداً . مما دعا الرئيس العراقي صدام حسين أن يقترح على الدول المعنية ميثاقاً للدفاع المشترك وعدم الاعتداء . وكانت أهم نقاطه : ضد وجود اندول العظمى ورفض منح التواعد العسكرية لقوات الدول العظمى ، واتخاذ الاجراءات المشتركة ضد أي هجوم ليس عربي . ومن الواضح ان التصريح كان موجهاً ضد ايران وأنه عمل تمهيدى لشن حرب .

وثمة جانب اضافي جدير بالتنويه في موضوعنا يتعلق بالضعف الملفت للنظر الذي لحق بالمنظمات الاقليمية التي قويت من خلال الحرب الايرانية العراقية . فالجامعة العربية ومنظمة الأوبك ومنظمة الدول الاسلامية كانت تشكل في السبعينيات بنظمات اقليمية وما فوق الاقليمية وتمثل مصالح دول العالم الثالث

(٧) انظر الأفراسيوية رقم ٧٢ في ١٩٧٩/١/٢٢ .

المشتركة وتمكنت الى حد ما من الحد من نفوذ الدول العظمى . وانطلاقا من ذلك تكونت قاعدة لحل المشكلات وتسوية النزاعات العربية الداخلية . غير ان الجامعة العربية اخذت تفقد أهيتها باستمرار : اذ ان مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه جامعة الدول العربية لم يتمكن من الانعقاد طوال اسابيع طويلة اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان . ولم يمكن تنفيذ الخطط التى وضعها مؤتمر وزراء الخارجية واقام قمة الدول العربية لحل أزمة الشرق الاوسط ولانتهاء النزاعات العربية الداخلية (انظر دافيشا ص ٦٥ — ٦٨ ، جانسين ١٩٨٤ ص ٨١ — ٨٧) .

كذلك فقدت منظمة الأوبك بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية والخلاشات الإيرانية السعودية فى سياسة البترول وظيفتها كهيئة متكاملة . ولكنها سهلت بعد عام ١٩٧٥ فى الجزائر إبرام اتفاقية إيرانية عراقية ، الا انها هى نفسها أصبحت موطنا للنزاعات والتوترات .

كما ضعفت منظمة الدول الاسلامية نتيجة للتوترات الداخلية فى الاتجاهات الانقسامية . وتجلى عدم أهميتها المتزايد فى فشل جهودها من أجل التوصل الى حل سلمى للحرب الإيرانية العراقية .

السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية

لم يكن التطور الداخلى وآليات النظام الاسلامى ولا سياسة ايران الخارجية — امرا سهل ان فهم بالنسبة للعالم بأسره فى الست السنوات الماضية وظلت خلافات النظام الجديد مع الدول العظمى والدول المجاورة والتى أدت فى فترة محددة الى عزلة ايران — امرا محيرا بالنسبة لكثير من الدول . وكانت هناك محاولة لارجاع اسباب الخلافات غير المفهومة اما الى الفوضى التى اعقبت انتصار الثورة مباشرة او الى عجز المصفوة القيادية الدينيه على التعامل مع القواعد الحديثة للسياسة الدولية . وبانفاكيد كانت فترة الفوضى والصراعات داخل الأجنحة مسئولة عن السياسة غير المستقرة والمتغيرة . بيد أن السياسة الخارجية الإيرانية تستند على مفهوم سياسى بنى على بعض المبادئ الاسلامية المحددة . ونحاول فى هذا الفصل تحليل هذه المبادئ وتقسيم السياسة الخارجية الإيرانية الى مراحل هامة .

ربما تعتبر السياسة الخارجية الإيرانية محيرة بالنسبة لاي مراقب نظر : لانها غالبا ما تمثل فى آن واحد آراء سياسية مختلفة لمراكز قوى مختلفة . وبدون تشخيص مراكز القوى هذه لا يمكن تحديد الملامح الاساسية للسياسة الخارجية الإيرانية كما لن يكون من الممكن كشف متناقضاتها .

ونظرا لأن مصالح سياسة خارجية محددة قد ساعدت على اندلاع الحرب الإيرانية العراقية ونظرا لان العلاقات الإيرانية مع العالم الخارجى يغلب عليها طابع الحرب نجد استعراض ملامح السياسة الخارجية لـ إيران امرا لا مناص منه في عملنا هذا .

وكانت السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم نواة للدموية الاسلامية وللتعبئة ضد حكم الشاه الذى كان اعتماده على الولايات المتحدة ودوره « كشرطى اقليمى » علاوة على علاقاته مع اسرائيل وجنوب افريقيا وشكل ذلك محور بيانات الخمينى ابتداء من علم ١٩٦٣ حتى قيام الثورة فى عام ١٩٧٩ . (الخمينى ١٩٧٩ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٧١ — ١١٥ ، ٧٥ — ١٢١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠) . ولعبت السياسة الخارجية دورا هاما فى الخلافات الداخلية بعد نجاح الثورة ايضا ، كما كانت لها اهمية خاصة بالنسبة لازدهار وفشل الجماعات والاتجاهات السياسية .

وكان منصب وزير الخارجية موضوعا للصراع منذ بداية الثورة الإيرانية وكثيرا ما تعرض للتغيير أكثر مما كان يتعرض له أى منصب وزارى آخر (فقد اعتلى هذا المنصب خمسة وزراء خارجية فى غضون السنتين الأوليين كما ظل شاغرا على مدى عام كامل) .

وأعلن النظام فى بياناته الأولى عن سياسة خارجية مضادة تماما للشاه وكانت المبادئ الجديدة هى الاستقلال وعدم الانحياز النشط والسعى الجاد نحو تحقيق الوحدة الاسلامية (اطلاعات ١٤٠٢٠١٤) (١) . وحدد منظرو الثورة الإيرانية المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الجديدة بأنها « توازن سلبى (صبحار ١٩٨٠ — ٢٨) ويستحق هذا المفهوم الجديد دراسة دقيقة وستحاول عرض أسس السياسة الخارجية الجديدة وخطوطها العريضة من الوجهة النظرية للنظام الجديد .

١ — الأساس التاريخى :

تحولت إيران فى فترة حكم الكيراستشية (١٧٩٥ — ١٩٢٥) الى دولة ضعيفة متفسخة شبه مستعمرة (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٠ — ٢٢) . وقسمت كلتا الدولتين الأوروبيةين المتنافستين بريطانيا وروسيا / إيران الى مناطق نفوذ الامر الذى أدى الى عملية نهب منتظمة لهذا البلد (بنى صدر ١٩٧٧ ، ٥٩ — ٦٣) . وأصبح الاقتصاد الأيرانى والدولة الإيرانية فى حالة اعتماد

(١) أول بيان حكومى لرئيس الوزراء مهدى بازرگان الذى أعلنه فى ١٩٧٩/٢/١٣ وكذلك أيضا أول مشروع لوضع مفهوم إيرانى جديد (المقدمة) .

كامل على العالم الخارجى بسبب اعباء الديون المتنامية والتنازلات المستمرة التى كانت تقدمها ايران للدولتين العظميين . وتم تثبيت عملية تقسيم البلاد الى مناطق نفوذ كتابية فى معاهدة بريطانية روسية صدرت علم ١٩٠٧ (يودفات ١٩٨٤ ، ٦ - ٨ ، هورفيتس ١٩٥٦ ثم ٢٢٦) . ولم تقسم الدولتان العظميان المصادر الاقتصادية والطبيعية فقط بل اخضعنا أيضا أعضاء الاسرة الحاكمة لتبعيتهما .

وقد عمل مركز القوة هذا ، الذى كان فى الواقع عاجزا ازاء مراكز القوى المحلية - على تأمين وجوده فيما بعد عن طريق مساندة الدولتين الاوروبيتين (بنى صدر ١٩٧٧ ثم ٥٦) ومحاولات الاستقلال المختلفة التى حدثت من جانب بعض رجال من الدولة الايرانيين مثل الامير كبير فى الاربعينيات من القرن التاسع عشر . هذه المحاولات الاستقلالية تحطمت على صخرة التعاون بين الدولتين العظميين وحليفهما الشاه الذى كان لا حول له ولا قوة (بنى صدر ١٩٨٠ ، ١٧٦٠ ، بروكلمان ، ١٩٧٧ ، ٦٦٤) . وكانت أسرة الكيارن تسير على مبدأ « التوازن الايجابى » فى السياسة الخارجية اى قيام علاقة متوازنة مع الدولتين العظميين مما كان يعنى فى نهاية المطاف تحقيقا لمصالح الدول الكبرى . وقد أدى هذا الوضع الى خلق مواقف كان على ايران الخضوع فيها بتقديم تنازلات لتلك الدولة والتسليم بمطالب الدولة العظمى الاخرى بالتالى (صبحار ١٩٨٠ ، ٢٧ ، بروكلمان ١٩٧٧ ، ثم ٦٨٠) . وقد فشلت فشلا ذريعا محاولتان قبل الحربين العالميتين الاولى والثانية للتخلص من هذا الوضع الجديد وذلك عن طريق الاتجاه الى دولة عظمى ثالثة وهى اسانيا (ايفانوف ١٩٧٨ ، ٦١ - ٦٤ ، ١١١ - ١١٤ ، الطبرى الاولى ١٩٧٧ ، ١٤٨) .

ويتحدد البديل الاسلامى لهذه السياسة - « مبدأ التوازن السلبى » فى العلاقات مع القوى العظمى المتنافسة ، برفض اية تبعية واية تنازلات وهكذا تم تحييد الدول الكبرى وتأمين استقلال ايران . وتمتد وضع هذه النظرية فى العشرينيات علماء الدين المسلمون والسياسيون النشطون وهما حسن موداريس والدكتور مصدق (الذى كان رئيسا للوزراء فى الفترة ما بين ١٩٥١ حتى ١٩٥٣) وصاغها أيضا قبل وبعد الثورة الاسلامية المنظرون الاسلاميون المحدثون مثل بنى صدر (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٨ - ١٣٠) .

ب - الاساس الاسلامى :

اعتمد منظرو الحركة الاسلامية تجارب النبي محمد عند بداية نشر الاسلام . فقد واجهت الدولة الاسلامية المغيرة آنذاك دولتين كبيرتين وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية اللتان كانتا تتنافسا على السيطرة على العالم القديم . ولم يكن الاسلام مستعدا ولا راغبا فى تقديم

تنازلات أو الانحياز لاي من الاديراطوريتين وبذلك استطاع تحييدهما وأخيرا أخضاعها . ولابد أن تكون هذه التجربة التاريخية قد ساعدت في تشكيل سياسة ايران تجاه الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٦ ، بنى صدر ١٩٧٩ ، ٩٠) .

د - الأساس الاستراتيجي :

ولا تعتبر ايران دولة كبيرة فحسب بل تحظى أيضا بأهمية استراتيجية فهي مشتركة مع الاتحاد السوفيتي في خط حدود يبلغ طوله ٢٥٠٠ كم علاوة على أن موقعها على الخليج وعلى المحيط الهندي جعلها تتعرض دائما في العصر الحديث لضغط عنيف من الخارج . فكثيرا ما كانت الدول العظمى تتدخل في الصراعات الداخلية ومساندة ثورات محلية وبذلك اجبرت الحكومة المركزية على الركوع ووصل الامر الى حد الغزو المبشر لايران . وفي الفترة ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ استخدمت بريطانيا ايران كمعبر لقواتها المساعدة للمقاومة المناهضة للسوفييت (نخرای ١٩٧٢ ، ٢٢) وكانت المعاهدة الايرانية السوفيتية نتيجة لهذه الواقعة وهي تلزم ايران بطرد اي قوات اجنبية من اراضيها كما تأزمها أيضا بتعقب الأنشطة المناهضة للسوفييت . بل وأكثر من ذلك تسمح هذه المعاهدة للاتحاد السوفيتي بحق مرابطة بعض قواته في ايران في حالة وقوع اي استفزازات للاتحاد السوفيتي (يودفات ١٩٨٤ ، ١٣) . هذا وقد أضحت هذه المعاهدة شرعية على الغزو السوفيتي الامريكي عام ١٩٤١ وذلك لأجباط الخطط الحربية للرايخ الثالث ضد الاتحاد السوفيتي (يودفات ١٩٨٤ ، ثم ١٧٦) وتنازل نظام الشاه فيما بعد على الاقل عن الحياد النظري وانضم في الخمسينيات الى الحلفاء الغربيين المناهضين للسوفييت .

ولم يكن أمام الجمهورية الاسلامية الا طريق واحد للتخلص من هذا المأزق التاريخي الذي كان سببا للتبعيات المتغيرة وهو استقلال ايران وعدم الانحياز الايجابي والفعال ، وبهذا الطريق أيضا يمكن ضمان بقاء الدولة بعيدة عن نفوذ القوى العظمى نسبيا . ويمكن تحقيق هذا الهدف اعتمادا على مبدأ « التوازن السلبي » .

٣ - ١ - أسس السياسة الخارجية :

تحدد الوثائق الدبلوماسية والبيانات الرسمية التي صدرت لدى قيام الجمهورية الاسلامية أسس السياسة الخارجية الايرانية على النحو التالي (٢) .

(٢) دستور الجمهورية الاسلامية لايران الفقرة ١٥٢ - ١٥٥ ، بيسان الحكومة الذي صدر في ١٣/٢/١٩٧٩ ، خطاب رئيس الوزراء الايراني أمام مجلس الامن في ١٨/١٠/١٩٨٠ .

(أ) إقامة علاقات مع جميع الدول على أساس التعايش السلمي والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ورفض أية معاهدات غير متساوية أو تتعارض مع سيادة استقلال الدولة .

(ب) رفض الاشتراك في سياسة التحالفات وعدم الاشتراك في أي حلف مع اندول العظمى .

(ج) لا — للشرق ولا للغرب من أجل جمهورية اسلامية .

(د) الهدف الاساسى لسياسة ايران الخارجية هو تعاون وتوحيد جميع الشعوب الاسلامية والسعى لوحدة سياسية واقتصادية وثقافية في العالم الاسلامى . يجب على الثورة الاسلامية مساعدة الدول الاخرى لتحرر والعالم للاتفاق .

(هـ) مسألة كفاح المستضعفين ضد الانظمة الديكتاتورية . وتتعدى اهتمامات الثورة الاسلامية بذلك الساحة الاسلامية وتقسم العالم الى مستضعفين ومستكبرين) كما تتضامن مع شعوب مستضعفة غير اسلامية (مثل الهنود والامريكيون السود . . الخ) (الدستور فقرة ١٥٤) .

(و) نشر مبادئ الثورة الاسلامية الحقيقية في العالم بأسره وحماية العقيدة الاسلامية من الانحراف أو التبديل (انظر الدستور — فقرة ٣) . تعلن الجمهورية الاسلامية تحدى اسلامها الثورى كعامل نضالى ضد الاسلام التقليدى متحدية بالتالى الأمراء التقليديين الحاكمين للدولة الاسلامية .

ولم يتضمن أول مشروع للدستور الاسلامى الايرانى أية فقرة محددة عن عدم الانحياز بل أضيفت هذه الفقرة فيها بعد في تبديل الدستور . كما أضافت بعض العناصر الراديكالية الى مقدمة الدستور أن الهدف البعيد للثورة الاسلامية هو إقامة دولة عالمية موحدة (أى أمة) ، (الدستور المتدمة . صبحار ١٩٨٠ ، ٣٤) .

ان ثمة تناقضا قائما بالفعل في الدستور وفي بعض الوثائق الاخرى التى تتعرض للمبادئ الخاصة بالسياسة الخارجية والتي كانت تكمن فيها الخلافات التى ظهرت فيما بعد . فلا يتفق مبدأ مساندة الشعوب المستضعفة ومبدأ نشر المبادئ الاسلامية الحقيقية مع المطالبة بالتعايش السلمى ، كما أن مساعدة الحركات الاسلامية المعارضة تتناقض مع مبدأ التعاون مع الحكومات التى تعمل ضد مصالح الدول العظمى وقد أدت هذه التناقضات في السياسة الخرجية الى خلق أزمات وخلافات دبلوماسية .

وقد ظهر هذا الاشكال — أى التناقض بين البرنامج الرسمى وبين السياسة الفعلية — في دول أخرى أيضا حيث كان يتضح — بعد قيام ثورة

ناجحة - الاهتمام بنشر أفكار الثورة السياسية ولكن كان الاتصال المباشر بدول
وبأنظمة أخرى كثيرا ما يؤدي الى تصحيح الموقف السياسي الخارجى . (وعلى
سبيل المثال الوضع فى روسيا بعد قيام الثورة البلشفية ، دجراس ١٩٥١ ،
٢٦) .

٢ - ٣ - التحول الاسلامى فى السياسة الخارجية :

تختلف السياسة الخارجية الايرانية للجمهورية الاسلامية تماما مع السياسة
الخارجية لنظام الحكم القديم وتتبنى آراء بديلة على جميع المستويات تقريبا .
فعلى الرغم من احتفاظ ايران بعلاقتك اقتصادية طيبة مع الاتحاد السوفيتى
والكتلة الشرقية منذ الستينيات (للتعاون فى صناعة الصلب وتصدير الغاز
الايرانى) (انظر هويل ١٩٨٢ ، ثم ٢٠) استمرت سيطرة الولايات المتحدة
الامريكية على المجالات السياسية والاستراتيجية والأمنية السياسية . هذا
وكانت العلاقات مع الدول العربية قد وصلت الى أدنى مستوى أثناء حكم الشاه
(هليداى ١٩٧٥ ، ١١١) .

ودخلت السياسة الايرانية القديمة للشاه - خاصة بعد ازدهار القومية
العربية فى عهد ناصر فى الستينيات - فى صراع مع السياسة القومية العربية
وقد اقتضت العلاقات الايرانية انعزبية على ممالك المغرب والاردن وسلطنة
عمان حيث كانت ثوات الشاه تقوم بالدفاع عن الحكم المحافظ ضد عدوه
الميسارى الراديكالى كما اقتضت تلك العلاقات أيضا على مصر قبل وبعد حكم
ناصر . وعلى الرغم من المصالح المشتركة ضد انتيارات الراديكالية فى المنطقة
 نجد أن اطماع الهيمنة الايرانية دأبت على خلق التوتر مع المملكة العربية
السعودية ودول الخليج . وفى محيط النزاع العربى الاسرائيلى اقام شاه علاقات
مكثفة مع اسرائيل كما أدلى بصوته فى الأمم المتحدة ضد الاعتراف بمنظم
التحرير الفلسطينية وضد ادانة هجومين اسرائيليين على جنوب لبنان .

وكانت النشاطات الايرانية داخل منظمة الدول الاسلامية تهدف أساسا
بالتعاون مع تركيا وباكستان ومع بعض الدول الأخرى - الى تكوين تحالف
مناهض للاتحاد السوفيتى - وبررت ايران موقفها المناهض للشيوعية
بالسلام كما اقامت علاقات مكثفة مع جنوب افريقيا واثيوبيا فى عهد هيلاسيلاسى .

وغيرت عملية الاطاحة بنظام الشاه من موازين القوى الاقليمية التى
تحولت الآن لصالح الاتحاد السوفيتى والقوى الاقليمية المناهضة للامريكيين
وفقدت الولايات المتحدة الامريكية بضربة واحدة منطقة نفوذ هامة تمتد على
طول ٢٥٠٠ كم من الحدود الايرانية السوفيتية كانت عليها محطات مراقبة
ومحطات ردار . كما أدت الاطاحة بالشاه أيضا الى اهتزاز حلف السنسو (الذى
كان حزب بغداد حتى قيام الثورة العراقية ، بونتسل ١٩٧٩ ، ٢) . ووضعت

الجمهورية الإسلامية الجديدة مفهوما جديدا لعدم الانحياز والاستقلال عن الدول العظمى : فقد حاولت ان تعطي لفكرة عدم الانحياز مضمونا عالميا شاملا في اطار اقتصادى واجتماعى وثقافى . اما بالنسبة لفكرة الاستقلال عن الدول العظمى فكانت هذه الجمهورية ترى انه الرفض الشديد وادانة اطماع الهيمنة للدولتين العظميين ، وبهذا الموقف الراديكالى تسير هذه الجمهورية في خط للنموذج الصينى .

٣ - ٣ - تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة للسياسة الخارجية

أحدثت الثورة الإيرانية تغييرا عاصفا وجلبت معها كما هائلا للظواهر المعقدة خاصة فيما يتعلق باقامة نظام حكم بديل . فقد استطاعت التيارات المختلفة من خيبنى ان تتوحد من أجل تحقيق هدف الاطاحة بالمشاه وسرعان ما تبلورت فى السنتين الأوليين بعد الثورة وجهات النظر والاتجاهات المختلفة من جديد ونتيجة لذلك تطور الوضع الى نشوب صراعات داخلية حادة والى اضطراب فى السياسة الخارجية تطورت فى النهاية الى صراعات دائمية على السلطة فى صيف ١٩٨٠ . ولم تنشأ الصراعات الداخلية بين التيارات الإسلامية واليسارية والعلمانية والليبرالية الوطنية فحسب بل نشأت نتيجة للاختلافات الكامنة داخل الحركة الإسلامية ذاتها والتي كانت تمسك بزمام الأمور ونحاول فى الجزء التالى تحديد معالم ثلاثة اتجاهات متنافسة فى اطار مركز القوة الحاكم وتصوراتها للسياسة الخارجية من الناحيتين النظرية والعملية .

(١) اتجاه وطنى اسلامى

ونعنى بهذا الاتجاه اساسا « الحرية لايران » بزعامه مهدي بازرجان وبمثل بازرجان فى تاريخ ايران الحديث مزيجا من الفكر الإسلامى والمصالح وآية الله طلقانى والذى حكم فى الفترة ما بين نوفمبر وديسمبر عام ١٩٧٩ الوطنية (٣) . وعين رئيسا للوزراء بعد الثورة فقد كانت الآمال معقودة عليه لجمع بين القوى والتيارات المختلفة تحاشيا للاستقطاب . واحتل حزبه بالاضافة الى منصب رئيس الوزراء مناصب هامة اخرى فى مجلس الوزراء (وزارات الدفاع والداخلية والثقافة) وكبح هذا الحزب - الى حد - ما جماح السياسة الراديكالية التى كانت تطالب بها بعض الدوائر المتطرفة والتي كانت على اقتناع بضرورة التطهير الشامل لجهاز الدولة القديم وكان بازرجان يؤكد ان مهمة الثورة هى البناء وليس الهدم . وينقسم مفهومه للسياسة الخارجية الى النقاط التالية :

(٣) مهدي بازرجان ، حديث فى : الدستور عدد ٤٥٤ لندن وديسمبر ١٩٧٩ .

— التوازن فى العلاقات مع كلتا الدولتين العظميين والتعايش السلمى مع الدول المجاورة البرجماتية أى الاتجاه العملى هو المبدأ الاسمى للسياسة الخارجية . ويعنى بذلك الرفض لاية محاولات ثورية متطرفة او مثالية : تكييف العسل السياسى مع المعطيات الفعلية . وبازرجان هو مؤلف كتاب « البرجماتية فى الاسلام » والذى يقارن فيه بين الاسلام وبين أفكار وليم جيمس والفلاسفة البرجماتييين المتطورين الآخرين كما يحدد فيه أوجه الشبه بين هذه الاسس (حديث صحفى مع بازرجان فى مجلة الدستور ١٩٧٩) .

— حدود الثورة الايرانية : عارض بازرجان فكرة « تصدير الثورة » ولكنه ايد فكرة اقامة نظام برجماتى اسلامى هادىء فى اطار الدولة الوطنية الايرانية .
— على أن تكون ايران مثالا يحتذى لبلدان اسلامية أخرى دون تصدير للثورة (٤) .

— التعايش السلمى ليس فقط مع الدول الاسلامية ودول العالم الثالث بل ايضا مع الدول الغربية . وعلى الرغم من أنه كان يشارك التيارات الاصولية فى اهمية الربط بين الاستقلال الثقافى وبين حماية الوجهة الاسلامية نجد أنه كان يرى ضرورة التعاون مع الدول الصناعية الغربية المتقدمة على المستوى الاقتصادى وبصفة خاصة المستوى التكنولوجى (حديث صحفى مع بازرجان فى صحيفة الدستور ١٩٧٩) . حاول بازرجان فى الفترة ما بين فبراير ونوفمبر عام ١٩٧٩ — تحويل مبادئه الى الواقع العملى بيد أنه لم يحرز سوى نجاح جزئى لان الصراعات والاتجاهات المختلفة واختلاف وجهات النظر فى القرارات السياسية نسفت جهوده .

(ب) الاتجاه الاصولى

ويمثل هذا الاتجاه الحزب الجمهورى الاسلامى الذى تأسس بعد انتصار الثورة مباشرة ويعد محاولة لتجميع انصار الخمينى تحت قيادة دينية . وسرعان ما اوقع ادعاء الحزب — انه القوة السياسية الحاكمة والقائدة — فى صراع مع التيارات الاسلامية الاخرى التى كان يجسدها بازرجان أو مع المثقفين المستقلين مثل بنى صدر الذى لم يكن قد انضم الى الحزب وتميزت السنة الاولى بعد قيام الثورة بالصراع بين الحزب الجمهورى الاسلامى وبين حكومة بازرجان . وعلى الرغم من أن الحزب كان يتمتع بالاغلبية فى مجلس الثورة نجد أنه لم يكن له أى عضو فى الحكومة . بيد ان الحزب تمكن بفضل أغلبيته فى المجلس الدستورى

(٤) بازرجان ، سلسلة مقالات « ثورتنا » فى صحيفة انقلاب اسلامى (وهى صحيفة الثورة الاسلامية) عدد ١٢ — ١٧ ، نوفمبر ١٩٨٠

الذى تشكل حديثا من ادخال تعديلات واسعة على مشروع الدستور الذى وضعته
وقدمته الحكومة ولعل أهم تدخل هو الجزء الخاص بالفقرات الخاصة عن
ولاية الفقيه « الذى كان يضمن للصفوة الدينية وضعا قياديا فى الدولة . وتمثل
اراء التيارات الاصولية فى السياسة الخارجية على النحو التالى :

— الثورة الاسلامية هى ثورة عالمية ولا تتوقف عند أية حدود قومية ويمكن
التضحية بمصالح ايران القومية فى سبيل تحقيق هذا الهدف .

— ان قصر الثورة على الحدود القومية للدولة يعتبر موتا للثورة وانتشارها
هو الضمان الوحيد لانتصارها فى ايران .

— يمكن تقوية التيار الاسلامى داخل الدولة — عن طريق الكفاح المتواصل
ضد العالم الخارجى — الامر الذى يحول دون قيام بيروقراطية داخل الدولة
وبذلك يصبح ما يسمى بالفوضى الثورية شيئا نظريا .

— الثورة الاسلامية ليست غربية ولا شرقية وعدوها الرئيسى هو الولايات
المتحدة الامريكية ومسألة الرهائن تثبت ذلك ويمكن ضعف هذا الراى فى عدم
وجود أى اختلاف بين الولايات المتحدة الامريكية وأوربا وليس هناك صحة
لاستقلال أوروبا وصراعها مع قوى الهيمنة الامريكية .

— أصبحت عزلة ايران مؤكدة من الناحية النظرية ، فالعزلة تعتبر
نتيجة حتمية للبناء المستقل لايران الجديدة . ونظرا لان التكنولوجيا الحديثه
مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة الغربية وبالحضارة ، فلا يمكن لايران أن تأخذ
أحداها دون الأخرى .

— تبرير فكرة « تصدير الثورة » ادى فيها بعد الى خلق أزمات دبلوماسية
شديدة وصراعات مع الدول المجاورة خاصة دول الخليج .

(ج) اتجاه بنى صدر :

على الرغم من ان وضع بنى صدر كان قريبا من اتجاه بازرجان الاسلامى
الوطنى الا أنه اتخذ لنفسه بعد انتخابه رئيسا للوزراء اتجاها خاصا به
وكانت استقالة وزارة بازرجان فى نوفمبر ١٩٧٩ ومشكلة الرهائن تعنى
انتصارا للتيار الاسلامى الاصولى بما له من اثر على الحياة السياسية فى
داخل البلاد وعلى السياسة الخارجية أيضا . فبعد انتصاره القوى فى
انتخابات الرئاسة التى حصل منها على ثمانية فى المائة من الاصوات
حاول اخماد التيارات المتطرفة كما بذل جهودا جبارة لاعادة صياغة سياسة
اسلامية هادئة تتفق مع اتجاهات بازرجان رئيس الوزراء السابق . ويمكن
استعراض مواقف بنى صدر بالنسبة للسياسة الخارجية على النحو التالى :

— **التوازن الساسي** : كمنظر مرموق للثورة الاسلامية صاغ بنى صدر مفهوم السياسة الخارجية على هذا النحو : لا يمكن ضمان استقلال ايران عن طريق العزلة ولا عن طريق التورط في صراعات متعددة أو عن طريق « التوازن الايجابي » . فالدول الكبرى مرغمة نظرا لتكوينها على التنافس من أجل النفوذ والهيمنة في كل منطقة في العالم . ويمكن عن طريق اقامة علاقة متوازنة مع كلتا الدولتين العظمتين ومقاومة اطماع الهيمنة وتخفيف الضغط على ايران وأرغام الدول الكبرى على قبول ايران المستقلة كحد أدنى لتحقيق مطالبها الخاصة (بنى صدر ١٩٧٩ ، ٤ ، ٥ — ٩٠) وقد عبر بنى صدر عن هذا الموقف مرات عديدة خلال بياناته وأحاديثه الصحفية التي أدلى بها وأجرأها اثناء الفترة القصيرة التي أمضاها في منصب وزير الخارجية في شهر نوفمبر عام ١٩٧٩ . وأيد بنى صدر في ندائه للشعب الامريكى حل مشكلة الرهائن وحاول التأكيد على أن ايران المستقلة تتفق فعليا مع مصالح الشعب الامريكى أما التصعيد المستمر فسيؤدى الى التدخل السوفيتى في ايران (بنى صدر ... رسالته في ١٩٧٩/١١/٤) .

— يترقب بنى صدر في النظام الدولى الجديد بين مستويات الصراع المختلفة فنى محاربه للدول الكبرى يدعو الى أوروبا محايدة والتعاون معها .

— تدعم دور المنظمات الدولية والاقليمية وخاصة تلك التي تدعو للتعاون مع دول العالم الثالث ، مثل منظمة الاوبك أو منظمة الدول الاسلامية .

— يدعو بنى صدر كأساس داخلى لمثل هذه السياسة — على العكس من فكرة « الفوضوية » الثورية — الى الاستقرار والوحدة الوطنية والتطور السلمى للعلية الثورية (بنى صدر ١٩٧٩ ، ١٤٣) .

— رفض مفهوم « تصدير الثورة » وتجنب أى شكل من اشكال العنف في العلاقات الثنائية .

اثبت الخلافات بين التيارات السياسية الثلاثة السابق ذكرها تأثيرا حاسما على السياسة الخارجية لايران حتى شهر يونيو عام ١٩٨١ . وأدى عزل بنى صدر واستيلاء الاصوليين على السلطة وبعد صراع استمر سنتان ونصف سنة الى تنفيذ أهداف الاصوليين ومبادئهم في السياسة الخارجية . بيد ان اتجاهات جديدة داخل النظام بالاضافة الى متطلبات الحرب اجبرت الاصوليين منذ عام ١٩٨٣ على التراجع الجزئى على الأقل عن شعاراتهم الثورية والى الاخذ النسبى لبعض العناصر البرجماتية في مواقفهم السياسية الخارجية .

١٠٤٠٣ تقلبات في السياسة الخارجية الإيرانية

نقسم فيما يلي السياسة الخارجية الإيرانية الى أربع فترات تغير فيها شكل ومضمون السياسة الخارجية مع موازين القوى وأصحاب القرارات .

١٠٤٠٣ فبراير — نوفمبر ١٩٧٩

العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب

كانت سياسة بازرجان الخارجية مضادة لكلتا الدولتين العظميين الا انها كانت تتميز بالخوف من التدخل السوفيتي . ولذلك عملت حكومة بازرجان ليس على قطع بل على اعادة العلاقات مع الولايات المتحدة والدول الغربية على أساس جديد . فمن ناحية قطعت العلاقات مع اسرائيل وجنوب افريقيا وخرجت من حلف السنو (بيان حكومي) اطلاعات في ١٩/٣/١٩٧٩ ومن ناحية أخرى جرت المساعي لاقامة علاقات طيبة مع أوروبا الغربية واليابان كما اعادت المعاهدات الاقتصادية والعسكرية التي أبرمت في عهد الشاه وحرصت على ملامتها مع الظروف الجديدة . فقد كان أي خرق للمعاهدة يعني كارثة بالنسبة للاقتصاد الإيراني وبالنسبة للصناعة الانتاجية الإيرانية حيث أن نسبة اعتماد قطاع التسليح على هذه المعاهدات كانت كبيرة ، وقد ارفم انتهاء المعاهدة من طرف إيران على استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفيتي كما حدث لمر بعد ثورة ١٩٥٢ وللعراق عام ١٩٥٨ . ويرى الخبراء عن حق أن امدادات الاسلحة السوفيتية كانت الخطوة الاولى في طريق النفوذ السياسي في الشرق الاوسط في الخمسينات . وكانت حكومة بازرجان تعارض هذا النوع من التحول الراديكالي وفي هذا الاطار يلزم الرجوع الى المقابلة غير الموفقة بين بازرجان وبرزنيسكي التي تمت في الجزائر في اكتوبر عام ١٩٧٩ والتي عجلت باستقالة حكومته (الشرق الاوسط في ١٨/١١/١٩٨٩) .

العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية

تقع علاقة ايران مع الاتحاد السوفيتى فى دائرة المساعى الدائمة للحصول على مناطق النفوذ وغزو افغانستان . وظل الاتحاد السوفيتى الذى رحب بالاطاحة بنظام الشاه وضياح القلعة الامريكية فى ايران ينظر بعين الشك الى الوجهة الاسلامية للثورة (يودفات ١٩٨٤ ، ٥٤ ، ٥٧) وتجلى ذلك فى توادد الحديث الرسمية فلم تتحدث الصحافة السوفيتية عن الجمهورية الاسلامية بل عن الجمهورية الايرانية ولم تكتب الثورة مقرونة بالاسلامية بل الديمقراطية الوطنية (تشوين ١٩٨٠ ، ٣٨) . بينما اختارت الصحافة الايرانية لفظ روسيا لتهاجم بذلك دمج الجمهوريات الاسلامية الآسيوية فى الاتحاد السوفيتى التى كانت من الوجهة التاريخية اجزاء من الاراضى الفارسية واحتلتها روسيا القيصرية على مدى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد حاول الاتحاد السوفيتى مرتين على الاقل فى تاريخ ايران الحديث فرض نفوذه على السلطة المركزية عن طريق مساعدة مطالب الاستقلال الذاتى للجماعات المحلية والعرقية . فقد ساند الاتحاد السوفيتى جمهورية المستشارين فى اقليم جيلان عام ١٩٢٠ كما ساند جمهوريتى اذربيجان وكردستان فى السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ (ايجليتون ١٩٦٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥) واصابة مساندة الصحافة السوفيتية لمطالب الاستقلال الذاتى الكردية والتركمانية بعد قيام الثورة الاسلامية نقطة حساسة فى علاقات كلا البلدين . وقد تجنب الاتحاد السوفيتى اى تورط مادى فى الخلافات ولكنه أكد مرات عديدة على اهمية الاستقلال الذاتى للكراد . يودفات ١٩٨٤ ، ٦٣ ، ٨٦ ، ١٤٥ ، تاس ١٩٧٩/٩/٤ . وكانت الازمة الافغانية منذ البداية مصدرا لتوترات ، فبينما كانت ترى ايران فى الغزو تهديدا مباشرا اتهم الاتحاد السوفيتى ايران بالتدخل فى الشؤون الافغانية وارسال متطوعين . وادت الخلافات حول ارتفاع سعر البترول بجانب الخلافات السياسية الاخرى الى تسمم المناخ بين الدولتين (بيان حكومى ايرانى ، اطلاعات ١٩٧٩/٩/٢٠) .

ولا يصح تجاهل الابعاد الايديولوجية لهذا الصراع . ويعتبر كثير من المراقبين ان من المتوقع ان يكون للثورة الاسلامية اثر على الوضع فى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى (شوبن ١٩٨٠ ، ٣٨ ، دنكلورى ١٩٨١ ، ٢٢٥ — ٢٣٢ يودفات ١٩٨٤ ، ٨٤ — ٧٦) .

وعلى الرغم من سوء العلاقات مع دول الغرب لم يطرأ — على عكس جميع التوقعات — اى تحسن فى العلاقات مع دول الكتلة الشرقية وكانت البادرة الوحيدة التى تهدف الى تحقيق التقارب هى وعد الحكومة الايرانية بتوجيه الدعوة لفيدل كاسترو رئيس الحزب والدولة الكوبى لزيارة ايران بيد ان هذه الزيارة لم تتم .

العلاقات مع العالم الثالث والمنظمات الدولية

وعلى الرغم من المشكلات الداخلية المتعددة كانت علاقات ايران مع دول العالم الثالث ومع المنظمات الدولية في هذه الفترة مكثفة بشكل اكبر من الفترة التالية . وكانت العلاقات مع الدول الاسلامية تحتل المرتبة الاولى واشترك بازرجان على الرغم من النقد العنيف من جانب التيارات المتطرفة - في مؤتمر منظمة الدول الاسلامية التي كانت التيارات الاسلامية تحط من قدرها كمنظمة رجعية . ثم أصبحت ايران عضوا في دول عدم الانحياز وارسلت وزير خارجيتها الى مؤتمر دول عدم الانحياز في هافانا ثم قطعت العلاقات مع جنوب افريقيا واعترفت الجمهورية الجديدة بحكومة الساندينستا في نيكاراغوا . ولم يطرا اى تغيير جوهري على العلاقات مع الصين على الرغم من خطبها المتوازي المحدد فيما يتعلق بالدول الكبرى وعلى الرغم من التشابه في التطور الداخلى ، ظلت هذه العلاقات تخيم على شبح الزيارة الرسمية التي قام بها لايران هولوكاو فنج رئيس الدولة الصينى الذى كان آخر رئيس دولة صينى قام بزيارة رسمية للشاه . اما العلاقات الايرانية مع الدول العربية وخاصة مع دول الخليج والعراق ستعالج بشكل منفصل فيما بعد .

٢٠٤٠٣ نوفمبر ١٩٧٩ - أغسطس ١٩٨٠

تولى مجلس الثورة مقاليد السلطة التنفيذية بعد اقالة حكومة بازرجان في نوفمبر ١٩٧٩ وكلف بعض اعضاءه بادارة الوزارات . وكان آية الله بهشتى رئيس مجلس الثورة وبنى صدر الذى كلف بهام وزارات الخارجية والمالية والاقتصاد لاعادة تنظيمها ووضع خلاف .

وكان العامل المسيطر في بداية هذه الفترة هو الحزب الجمهورى الاسلامى بالاضافة الى مجموعة الطلبة المتطرفين المتحالفة معه والتي احتلت السفارة الامريكية وكانت السمات الرئيسية الخارجية لهذه الفترة هي العزلة والميل الى التطرف الذى تمكن بنى صدر من اضعافه عن طريق التيار الذى كان يمثله . ولم يسبب احتجاز الرهائن الى العلاقات مع الخارج فحسب بل لسب دورا هاما في القضاء على جذور الاتجاهات الليبرالية والوطنية والمعتدلة في الصراع الداخلى على السلطة وسيطر المفهوم الاصولى في السياسة الخارجية على الرغم من مقاومة بنى صدر وآخرين . ويمكن عرض ملامحه الاساسية كما يلى :

١٦٤ (أ) الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الغربية

خان احتجاز الرهائن تعبيراً عن سياسة معادية للامريكيين وضد التحالف الغربي تسببت اخيراً في عزلة البلاد وفي فرض العقوبات السياسية والاقتصادية من جانب الدول الغربية . الا أن الأمر كان يتعلق أساساً بالصراعات الداخلية على السلطة فقد استحدثت النشاطات السياسية الخارجية لتعبئة جماهير الشعب من ناحية وللقضاء على العناصر الليبرالية والوطنية داخل مركز السلطة من ناحية أخرى .

واصبحت التوقعات الإيرانية بخيبة أمل فيما يتعلق بنتائج احتجاز الرهائن على العلاقات الدولية . وقد اراد آية الله خميني اجبار الدول الاسلامية على التحالف ضد امريكا بهدف الحيولة دون قيام انتفاضات خطيرة في هذه الدول (النهار ١١/٢٨ / ١٩٧٩ ، ١٢/١٨ / ١٩٧٩) بيد ان احتجاز الرهائن قد تسببت في مزيد من العزلة ونقدت ايران السمعة الطيبة الذي كانت تتمتع بها بعد الثورة بين الرأي العام العالمي . فقد اتضح موقف بريطانيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية وفرنسا أن الدول الأوروبية واليابان قد ابتعدت حقاً في البداية عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية المناهضة لايران بيد أنها تأرجحت تحت ضغط الولايات المتحدة وتحت وطأة الاحداث ، على هذا الخط .

(ب) الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية

داب الاتحاد السوفيتي على توجيه النقد الحاد الى السياسة الخارجية في عهد رئاسة بازرجان للوزارة اى في الفترة من فبراير حتى نوفمبر عام ١٩٧٩ ورأى ان الفرصة سانحة أمامه في الوضع الجديد لاستغلال الصراع الامريكى الايرانى والحصول على منطقة نفوذ في ايران (يودفات ١٩٨٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٩٨٠ ، ٤٠) وعلى الرغم من التدخل الاحادى الموجه ضد الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت ايران تخشى تدخل السوفييت وادانت المذكرة الموجهة من مجلس الثورة الايرانى الى قيادة الحزب السوفيتي جميع المحاولات السوفيتية الرامية للحصول على مناطق النفوذ وأكد وزير الخارجية الايرانى من جديد في خطابه لنظيره السوفيتي اندريه جروميكو الموقف الايرانى وادان بشدة غزو أفغانستان ، فقد كان تورط النظام الايرانى الجديد في النضال مع الولايات المتحدة الأمريكية يشكل من وجهة النظر الايرانية فرصة لنجاح غزو أفغانستان ولذلك وقعت في ايران في يناير عام ١٩٨٠ مظاهرات معادية للسوفييت وعلاوة على ذلك أعلنت ايران مقاطعتها للدورة الاولمبية التي اقيمت في موسكو (كبهان ١٩٨٠/١/٢٢) .

وعلى الرغم من ذلك استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي . وحال بذلك دون ادانة ايران واستغل الاتحاد السوفيتي المتاطمة

الاقتصادية من جانب الدول الغربية في تكثيف العلاقات التجارية مع إيران (النهار ١٥/١/١٩٨٠) . وفي ربيع عام ١٩٨٠ تحسنت العلاقات الاقتصادية الإيرانية السوفيتية والتي على عاتق إيران مهمة تدعيم العلاقات التجارية مع دول الكتلة الشرقية .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

لم تتمكن إيران من تحقيق خططها لاقامة حلف مناهض للأمريكيين فقد اعترفت فجأة بجمهورية الصحراء لى تضمن مساندة الجزائر وليبيا وانتهجت إيران سياسة انعزالية داخل المنظمات الاقليمية وغير الاقليمية ولم تشترك في جلسات مجلس الامن ولا جلسات محكمة العدل بلاهاى عند مناقشة مشكلة الرهائن وابتعدت ايضا عن منظمة الدول الاسلامية وبادر بنى صدر رئيس الوزراء المنتخب حديثا والذي كان يرى جيدا ضعف إيران في سياستها الخارجية بسبب مشكلة الرهائن السفير ١٧/٣/١٩٨٠ بادر بنى صدر باقتراح اشراك بلاده في مباحثات منظمة الدول الاسلامية في باكستان ولكن هذه الخطوة اصطدمت بالرفض الشديد من جانب الحزب الجمهورى الاسلامى ومن جانب الاتجاهات الاصولية (الجمهورية الاسلامية في ٤/٥/١٩٨٠) .

وساد النصف الثانى من هذه الفترة ابتداء من مارس حتى شهر اغسطس ١٩٨٠ صراعات داخلية بين الرئيس بنى صدر والسيطرة الاصولية في البرلمان . وبدأ بنى صدر بالاشتراك مع وزير خارجيته قطب زادة في توطيد املات مع اوربا . واشترك قطب زادة كمراتب في مؤتمر الدولية الاشتراكية وطائب المجتمعين بسياسة اوربية فعالة ومستقلة . واستقبل بنى صدر وفدا للدولية الاشتراكية برئاسة المستشار النمساوى آنذاك كرايسكى وكانت جهود بنى صدر السياسية موجهة بوعى ضد أى اتجاه موال للاتحاد السوفيتى في إيران ، اما العلاقات مع كوريا الشمالية فكانت مرتبطة بفكرة التقارب مع الصين .

وتهيزت الحقبة ما بين نوفمبر عام ١٩٧٩ حتى اغسطس ١٩٨٠ بانشطة سفيرة في السياسة الخارجية فقد ساد التوجه الاصولى المتطرف حتى عام ١٩٨٠ من يناير حتى مارس علم ١٩٨٠ حاول الرئيس الجديد ايقاف هذا الاتجاه . وساند الخمينى ويطانته — الذين صدموا بالانتصار الساحق لبنى صدر والذين كانوا غير راضين عن سياسته الخارجية — الحزب الاصولى الاسلامى ، بشكل مكثف ، وقد تمكن الحزب الاصولى اخيرا من الحصول على الاغلبية في الانتخابات ابرلمانية في المجلس الوطنى التى جرت في ٥ مارس ١٩٨٠ . وابتداء من مارس توالت الخلافات داخل البرلمان مما ادى الى ازمة دستورية حادة . وطبقا

للدستور الايرانى يرأس الرئيس السلطة التنفيذية وينسق بين السلطة التنفيذية والتشريعية ولا بد من حصول الحكومة على رضا وموافقة الرئيس والبرلمان ولم ينص الدستور على شىء فى حالة حدوث خلاف بين الرئيس والبرلمان (الدستور الايرانى الفقرة رقم ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧) وفى اثناء الازمة الوزارية التى دامت خمسة اشهر لم يتم التوصل الى اتفاق حول تشكيل مجلس الوزراء .

٣٠٤٠٣ الفترة من اغسطس ١٩٨٠ حتى يونيو ١٩٨١

وكان يتحتم على بنى صدر بعد تدخل الخمينى قبول رجائى الذى اقترحه البرلمان رئيسا للوزراء . وفى اغسطس تم تشكيل الحكومة الجديدة وباشرت السلطة . اما وزارات الخارجية والاقتصاد والدفاع فبقيت شاغرة كما ظلت وزارة الخارجية بدون وزير دائم وعين وزير جديد للدفاع فى شهر اكتوبر فقط بعد اندلاع الحرب الايرانية العراقية .

وكان تشكيل الوزارة فى اغسطس ١٩٨٠ يعنى انتصارا للاتجاه الاصولى الذى بدأ فى تنفيذ آرائه فى السياسة الخارجية لايران باستثناء بعض مواقف بنى صدر الذى كان يركز على اعادة بناء الجيش والذى كان قد فقد نفوذه بشكل ملموس واصبح رئيسا معارضا بصفة دائمة .

زعمت فى عهد رجائى عزلة ايران واصبح لها الان اسس نظرية وادينت المقاطعة الاقتصادية الغربية بصورة رسمية الا انها كانه فى نفس الوقت فرصة ملائمة للبناء الجبرى للطاقت والمصادر الاقتصادية الخاصة . واتخذت هذه النظرية مقبلا لدى الاخلاص للاسلام — أى الولاء لتوجيه الامام — حيث اتخذ هذا المعيار اساسا للحكم على القيادات العليا العلمية والتكنوقراطية . وقد نتج عن ذلك تفضيل لبعض القوى وموجة جديدة للتطهير وجهت ضد جميع التيارات المتأثرة بالعقائد الوطنية والليبرالية التى لها طابع غربى اودت هذه الموجه الى اغلاق الجامعة كما الغيت المنح الخارجية ولم تؤد حملة التطهير الى اضعاف الاقتصاد فحسب بل اضعفت أيضا المؤسسات والهيئات الهامة فى السياسة الخارجية .

(١) الولايات المتحدة الامريكية والكتلة الغربية

ونظرا لان مشكلة الرهائن كانت تشكل الملامح الرئيسية للسياسة الخارجية والداخلية استمر الصراع مع أمريكا « الشيطان الاكبر » وجهدت الولايات المتحدة الامريكية الحسابات الايرانية فى البنوك الامريكية ورفضت الالتزام بالمعاهدات القديمة . تحت ضغط الحرب الايرانية والموقف العصية

داخل البلاد وبعد وساطة الجزائر الناجحة اطلق سراح الرهائن فرفعت الولايات المتحدة الامريكية الحظر المفروض على بعض الحسابات وحصلت ايران على الاسلحة وقطع الغيار أساسا من الدول الحليفة للولايات المتحدة الامريكية . وعلى الرغم من انفراج العلاقات مع غرب أوروبا بعد انتهاء مشكلة — الرهائن — نجد أنه لم يطرأ أى تحسن نوعى على العلاقات حيث وصلت علاقات رجائى مع بريطانيا الى مستوى منخفض تماما فى الوقت الذى تم فيه تطبيع العلاقات مع اليابان التى أصبحت فيما بعد أهم مشتر للبترول فى ايران .

(ب) الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية

كانت العلاقات الايرانية السوفييتية سيئة للغاية قبيل تشكيل حكومه رجائى خاصة بسبب ردود الفعل الشديدة للمهجة على غزو افغانستان . وقد أشاد الجانب السوفييتى بتعيين رجائى باعتباره تعبيرا عن اتجاه معاد للامريكيين وعلق بيان سوفييتى على الصراع الداخلى على السلطة فى ايران على النحو التالى :

« كان بنى صدر وتلك الجماعات التى تسانده موالين للولايات المتحدة الامريكية والغرب وأوروبا . وفى الوقت ذاته كان الاصوليون المسلمون يتخذون مواقف وطنية » (يودفات ١٩٨٣ ، ١٢٦) .

وكانت كلمه مواقف وطنية تعنى بوضوح مواقف معادية للامريكيين بشكل واضح وموالية للسوفييت . وبعد اندلاع الحرب ايد احد الاتجاهات داخل الحزب الجمهورى الاسلامى فكرة استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفييتى وقد أعلن جلال فارس زعيم الحزب ومرشح الرئاسة ذلك بقونه : « نحن لا نواجه العراق وحده بل أيضا الولايات المتحدة الامريكية . فالاسطول الامريكى فى الخليج ولا يمكن مقاومته بدون الاسلحة السوفييتية . وقد اثبتت تجارب فيتنام وكوريا ومصر فى عهد ناصر انه من المستحيل الدخول فى مواجهة عسكرية مع المواليات المتحدة الامريكية بدون اسنحة سوفييتية » (الجمهوريه الاسلاميه فى ١٩٨٠/١١/٢٩) .

ولم يحدث مثل هذا التعاون العسكرى ولكن تحسنت العلاقات الاقتصادية الايرانية مع الاتحاد السوفييتى ودول الكتلة الشرقية بشكل كبير فى عهد رجائى كما أمكن التوصل الى تسوية تكاليف تصدير الغاز الايرانى .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

أرسلت الدبلوماسية الايرانية فى فبراير ١٩٨١ وفودا الى بلدان مختلفه من دول العالم الثالث وذلك لتوضيح الموقف الايرانى فى الصراع مع العراق . بيد أن عزلة ايران وتبديد الطاقات والازمات التى نجمت عن الحرب قد حالت

تكون اجراء اتصالات سياسية مكثفة مع دول العالم الثالث . وكان اهم حدث حضور رئيس الوزراء الايرانى الجمعية العامة للأمم المتحدة ويعتبر خطابيه الذى ألقاه فيها تسجيلاً وثقياً لسياسة ايران الخارجية فى تلك الحقبة . وكانت ايران فى عهد راجاى تمثل الجناح المتطرف داخل الدول الاسلامية وقاطعت اجتماعات منظمة الدول الاسلامية التى عقدت فى الرياض فى يناير عام ١٩٨١ .

ودفعت الحرب مع العراق ايران الى عزلة قوية كما أضعفت نشاطاتها الدبلوماسية وباستثناء اللقاء مع رئيس الوزراء الباكستانى على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تجر أية اتصالات سياسية أخرى . أما الوفود الحكومية التى قامت بزيارات لدول العالم الثالث فى فبراير ومارس من عام ١٩٨١ فقد تم ارسالها من قبل قسم الاعلام فى المجلس الاعلى للدفاع كما انها لم تجتمع الا مع ممثلين غير رسميين لدول أخرى .

٤٠٤٠٣ الفترة بعد يونيو عام ١٩٨١

أم يكن عزل بنى صدر وقوى أخرى معارضة بارزة يعنى سيطرة الاتجاه الراديكالى الكاملة فحسب . بل أيضا السيطرة الكاملة لمفاهيمه السياسية الخارجية واستمرت سياسة رجائى . وحدد رئيس الوزراء الجديد ملامح هذه السياسة فى خطابه الذى ألقاه أمام الامم المتحدة فى نيويورك فى ٥ أكتوبر عام ١٩٨١ .

وكانت الحرب الايرانية العراقية ومتطلباتها تحدد دائما توجهات اسياسة الخارجية لايران . ولم يطرأ أى تغيير على بيانات وأسس السياسة الخارجية فى جوهرها منذ عام ١٩٨١ بيد أنها قد تقلبت مع الوقت بعض وجهات النظر البرجماتية . وتوثقت العلاقات الاقتصادية مع غرب أوروبا واليابان كما حدث تقارب ملموس مع الصين ولم يطرأ أى تغيير على المواقف الاساسية فى السياسة الخارجية التى كانت تتميز برفض ايديولوجى للدول الكبرى والغرب تميزت أيضا بالاشتراك الايجابى فى المنظمات الاقليمية والدولية . وتأثرت العلاقات مع غالبية الدول المجاورة والدول العربية بشدة وبالتعااض المذهبى بين « الشيعة والسنة » .

٥٠٢ العلاقات مع الدول العربية وخاصة دول الخليج

كانت البيانات الرسمية للجبهة العربية الاسلامية فى البداية توجيهاً ومصلحتها بسياسة عربية نشطة بيد أن ايران قد دخلت على النقيض من ذلك فى صراع مع اغلب الدول العربية وحالت العقبات التالية دون حدوث أى تطور ايجابى فى هذه العلاقات :

— كانت الشخصية العقدية الدينية للجمهورية الإيرانية بالمشهد الشيعى تشكل تهديداً على كثير من الدول العربية المحافظة والمتحالفة مع الغرب نظراً لأنها كانت تخشى نشاط الأقلية الشيعية .

— مبدأ « تصدير الثورة » .

— الحرب العراقية الإيرانية .

— أدى النفوذ الأمريكى فى بعض الدول العربية مثل مصر والمملكة العربية السعودية وعمان الى حدوث توتر بين إيران وهذه الدول فى بعض الظروف خاصة مثل فى مشكلة الرهائن .

— الخلافات داخل المنظمات الاقليمية وسياسة الاسعار المتفاوتة داخل منظمة الاوبك والخلافات السياسية الايدولوجية داخل منظمة الدول الاسلامية الى زيادة حدة الخلافات والتوتر بين إيران وهذه الدول .

— التحالفات العربية المتنوعة والمتنازعة مع بعضها ، فعند اجراء اتصالات مكثفة مع احدى المحاور كانت العلاقات تتعكر تلقائياً مع الدول الاخرى .

(١) شكلان للسياسة العربية

انعكست المفاهيم المختلفة للسياسة الخارجية الإيرانية على العلاقات الإيرانية العربية أيضاً . ويمكن أن نفرق بين اتجاهين رئيسيين : سياسة حكومة بازرگان التى واصلها الى حد ما كل من بنى صدر وقطب زادة وكانت تسعى الى حدوث تحسن عام للعلاقات مع العالم العربى على الرغم من نوعية الانظمة الحاكمة هناك وقد رفضت هذه السياسة فكرة تقسيم الدول العربية الى دول محافظة واخرى تقدمية وذلك تجنباً لسوء العلاقات مع جانب العالم العربى . وقد طرأ فى عهد بازرگان تحسن نوعى على العلاقات مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج (الانوار فى ١٩٧٩/٩/١ ، النهار ١٩٧٩/٩/٢٠) .

اما الاتجاه الثانى وهو الاتجاه الاصولى : فقد ادى شعار تصدير الثورة الى حتمية حدوث مواجهة مع الدول العربية المحافظة وخاصة المملكة العربية السعودية وتدنت العلاقات مع أعضاء ما يسمى بـ « جبهة الرفض » (الجزائر وسوريا واليمن الجنوبي وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التى كانت تصنف الدول العربية الى دول محافظة واخرى تقدمية .

ويحاول تقديم تحليل مفصل لعلاقات إيران مع أهم الدول العربية وخاصة دول الخليج فقد لعبت هذه العلاقات دوراً هاماً فى التاريخ المبكر للحرب العراقية الإيرانية كما أنها تفسر الى حد ما اندلاع الحرب وتطور العلاقات العربية الإيرانية أثناء الحرب وحتى الآن .

(ب) العلاقات مع جبهة الرفض والمعارضة العربية

هامت ايران بلجراء اتصالات مكثفة نسبيا مع الجبهة المعادية لامريكا وهى ما يسمى بجبهة الرفض وهى نظام غير موحد ولكنه يتميز بالخلافات السياسيه والايديولوجية فنظام الحكم فى اليمن الجنوبي ماركسى وعلمانى . وعلى الرغم من الادعاء الاسلامى الذى تدعيه القيادة الليبية والذى يبدو للوهلة الاولى انه متقارب ومتواز مع ايران نجد أن هناك خلافات قائمة بين الاتجاه الايرانى وبين أعضاء جبهة الرفض فقد رفضت المؤسسة الشيعية فى ايران والمؤسسات السننية فى الدول الاخرى التفسير الليبى للاسلام وخاصة الحديث، ووصفته بأنه هرطقة .

اما سوريا فيحكها حزب انبعث العلمانى والذى يشن حملة دموية ضد الاحوان المسلمين (باتاتوا ١٩٨١ - ٣٣١ - ٣٤٤) أما الصفوة الحاكمة فهى تحسب نفسها من طائفة العلويين وهى طائفة قديمة منشقة من المذهب الشيعى ولا تعترف المؤسسة الشيعية التقليدية بها كمسلمين .

كان الدافع لتقارب بين ايران وهذه الدول سياسيا لان هذه الدول قدمت نفسها كأطراف اقليمية حليفة كما تصور نفسها بأنها تشكل جبهة معادية لامريكا وتنهج استراتيجية اقليمية مشتركة بل واكبر من ذلك هى فى صراع دائم مع العراق وبعض الدول المحلظة الاخرى . وثمة سبب آخر للتقارب على الرغم من الاختلافات العميقة وهو البعد الجغرافى لهذه الدول بالنسبة لايران بالاضافة الى تكوينها المذهبى الداخلى حيث لا يشكل شعور « تصدير الثورة » تهديدا لها .

مع عهد حكومة بازرجان كانت العلاقات مع جبهة الرفض خاصة مع سوريا وليبيا علاقات محدودة وركزت هذه الحكومة على الجزائر والدول المعتدلة داخل جبهة الرفض والتي كانت تقوم بدور الوساطة فى العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والدول العربية المحلظة . ولكن قد تكثفت العلاقات مع كل من سوريا وليبيا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ ولم يكن ذلك ناتجا عن سيطرة الاتجاه الاصولى بل نتيجة العزلة المتزايدة .

كانت العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية على درجة اكبر من التعقيد والاختلاف فقد اقام آية الله خمينى فى منتصف الستينيات علاقات طيبة مع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت تجرى بعض التدريبات العسكرية ايضا . وفى حريى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ أعلن الخمينى أن المعركة الفلسطينية تعتبر « جهادا » وطالب المسلمين بالمشاركة والاكثر من ذلك استغل نفوذه على الشيعة فى لبنان لاتناعهم بأهمية مساعدة النضال الفلسطينى . واصدر فتوى بتخصيص جزء من الزكاة للفلسطينيين .

وبعد انتصار الثورة قطعت ايران علاقاتها مع اسرائيل ووضعت مبنى السفارة الامريكية تحت تصرف منظمة التحرير الفلسطينية . وفي فبراير عام ١٩٧٩ وجه عرفات تهديدا من عبدان على السلطل الشرقي للخليج الى الولايات المتحدة الامريكية وطفائها وأنه يربط بالفعل على الجانب الآخر من الخليج . بيد أن توقعات كل من ايران ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تتحقق وفشلت أسلحة منظمة التحرير الفلسطينية وأن كانت قيادتها تعتبر من وجهة النظر الايرانية برجماتية وانتهازية . وتعارضت علاقات منظمة التحرير الفلسطينية بالملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية الأخرى مع التصورات الايرانية كما تعارضت بنفس القدر مع سعى قيادة المنظمة للحصول على اعتراف امريكا بها .

(د) العلاقات مع دول الخليج

كانت علاقات ايران مع دول الخليج تتميز منذ قيام الثورة بخوف هذه الدول من السيطرة الايرانية ومن انتشار روح الثورة . وكانت التيارات الاصولية المتطرفة تعتبر انتشار الثورة في دول الخليج مسألة وقت وأدى تصميم ايران على استمرار السيادة على الجزر الخليجية الثلاث المحتلة (البحرين في ١١/٣/١٩٧٩) وكذلك تصريحات آية الله روحاني المطالبة بالبحرين الى خلق موقف متوتر (اطلاعات في ١٥/٦/١٩٧٩) واستنهبت حكومة بازرجان التي كللت تميل الى تخفيف حدة التوتر وتعمل على تطبيع العلاقات المتنازلة وزير الخارجية الكويتي في طهران كما قام وزير الثقافة الايراني بزيارة المملكة العربية السعودية في بداية شهر سبتمبر عام ١٩٧٩ وكان من المفروض قيام الامير فهد بزيارة لظهران ردا على زيارة الوزير الايراني (الانوار ١/٩/١٩٧٩) حديث مع بازرجان ديسمبر ١٩٧٩ . وقام طسابطابى نائب رئيس الوزراء الايراني بعد وساطة خدام وزير الخارجية السوري بزيارة البحرين ودول خليجية أخرى في أكتوبر عام ١٩٧٩ (النهار في ٧/١٠/١٩٧٩ ، اطلاعات في ١٥/١٠/١٩٧٩) . وكانت الأنشطة الدبلوماسية بوجهة نسيب اتجاهه الاحادى للسياسة الخارجية الايرانية وخاصة توقيع أى تحالف مع الانحساد السوفيتى إلا أنها انتهت نهاية سريعة باستقالة بازرجان وتدهورت العلاقات مع دول الخليج والمملكة العربية السعودية ووصلت الى الحضيض بعد انتشار الاتجاه الاصولى وما ترتب على مشكلة الرهائن .

هذا وقد زاد تدهور العلاقات بسبب القرارات التي اصدرتها الجامعة العربية اثناء مشكلة الرهائن تحت تأثير الدول العربية المحافظة وكانت تنص على رفض مساندة ايران . كما ظلت العلاقات مع مصر محدودة وسلبية . وعلى الرغم من اخراج مصر من الحظيرة العربية بسبب معاهدة السلام مع اسرائيل نجد ان

مصر ظلت تتمتع بمكانة خاصة في الدبلوماسية الإيرانية بصفتها أقوى دولة عربية . إلا أن عرض مصر منح الشاه المخلوع حق اللجوء ووضع منشآتها العسكرية تحت تصرف الطائرات الأمريكية أثناء عملية إطلاق سراح الرهائن الفاشلة خلق مناخا سيئا للغاية (متحدث باسم الحكومة الإيرانية في ١٥/٣/١٩٧٩ ، بيان مكتب الخميني ٣٠/٥/١٩٧٩) .

وكان لبنان يحظى ببعض الأهمية حيث تنعكس فيه الكثير من الصراعات الإقليمية والدولية بشكل مصغر وحيث يأوى طائفة شيعية قوية نسبية . فضلا عن وجود الطائفة الشيعية كان هناك أيضا عاملان لهما اثرهما على العلاقات الإيرانية اللبنانية وهما وجود منظمة التحرير الفلسطينية ومقرها ، ثم نفوذ حليفها سوريا .

وقد ادت محاولة ارسال مئات المتطوعين الإيرانيين الى لبنان عبر سوريا للاشتراك في الكفاح ضد اسرائيل وحلفائها الى خلق ازمة دبلوماسية متعددة الجوانب (اطلاعات في ٢٩/٩/١٩٧٩) . وبعد عام ١٩٨٢ اتخذ الوجود الإيراني في لبنان ابعادا اقليمية اكبر .

٤ - اندلاع الحرب ومسارها

لا تتفق الوثائق الرسمية لكلا الجانبين في عرض اسباب الحرب وشرعيته بل اقف المختلفة ولا تتفق في البداية الفعلية للحرب . فالجانب العراقي يسجل بداية الحرب (٢٢ سبتمبر ١٩٨٠) في تاريخ آخر : فقد بدأت ايران العدوان العسكري بالفعل في ٤ سبتمبر (فيرتسلي في ١٩٨١ ، ٣٥) (١) . ويؤيد هذه النظرية قيام وحدات من الجيش العراقي بتحرير جزء من الاراض العراقية التي كانت ايران قد ضمتها اليها بالفعل قبل اكثر من عشر سنوات .

وتزيد الاتهامات المتبادلة - بالاضافة الى الكم الهائل من بيانات الاحتجاج التي نشرها الطرفان - من صعوبة توضيح المسار الفعلي للخلافات في الشهور الاخيرة التي سبقت الحرب . وكانت وزارة الخارجية الإيرانية قد ارسلت ثلاثا وخمسين مذكرة احتجاج الى العراق في الفترة ما بين ابريل عام ١٩٧٩ وسبتمبر عام ١٩٨٠ ، احتجت فيها على ٦٣٧ عمليات استفزازية عراقية (الحرب ضد الثورة في ١٩٨١ ، ١١١) وفي الوقت ذاته تلقت ايران ١١٠ مذكرات احتجاج من الجانب العراقي يحمل العراق ايران فيها مسئولية القيام بعمليات مماثلة

(١) انظر خطاب وزير الخارجية العراقي امام الأمم المتحدة في ٣/١١/١٩٨١ .

ار. نفس العمليات (حرب ضد الثورة ١٩٨١ ، ١١٤) . ولكن غالبية مذكرات الاحتجاج كانت متميزة وغير موضوعية وهجومية بدرجة لا يمكن اعتبارها وثائق جديدة (٢) . وكانت الصحف ووسائل الاعلام الموالية لايران والمالية للعراق تستخدم لتبرير موقف كل من النظامين ولذلك اختفت وراء هذه الهجمات المتبادلة الخلفيات الحقيقية للحرب وبعديتها الفعلية (زمزمى ١٩٨٥ ، فارن فرتسلى ١٩٨١) . واكتسبت الخلفيات التاريخية والصراع من اجل السيطرة الاقليمية الذى جرى عرضه فى الاجزاء السابقة من الكتاب شكلا جديدا بعد نجاح الثورة الاسلامية فى ايران . فقد دعمها الحلاف العقدى كما ادت هذه الخلفيات وفى ظل ظروف اقليمية ودولية معقدة جدا الى اندلاع الحرب . ويجب البحث عن الاسباب الفعلية لنشوب الحرب فى ازدهار الابداع الابداعية والسياسية (اى الاقليمية) ولذلك تعتبر الاتهامات المتبادلة حول المصادمات والاستعراضات المفصلة الخاصة بالعمليات العسكرية القتالية ذات اهمية ثانوية .

وفى الوقت الذى كانت تحتفل فيه الثورة الاسلامية بزعامه الخمينى بمرور عام على انتصارها فى ١٩٧٩ قدم الرئيس العراقى صدام حسين للرأى العام فى ٨ فبراير عام ١٩٨٠ مبادرته لاقامة - حلف قومى عربى موحد - ولم يكن التعاون السياسى والعسكرى الذى اقترحه صدام حسين فى هذه المبادرة وتضامن البلدان العربية ضد اى دولة (غير عربية) مقصودا به اسرائيل او غيرها بل القوة الاسلامية الناهضة حديثا فى ايران .

وقد رضخ العراق اثناء المظاهرات فى ايران قبل انتصار الثورة الاسلامية لضغط الشاه بطرد آية الله خمينى الذى كان يقيم منفيا فى مدينة النجف الشيعية المقدسة وقد كانت أنشطة الخمينى فى العراق لمساندة الثورة الاسلامية تتعارض مع المعاهدة التى وقعها كل من صدام والشاه فى عام ١٩٧٥ . ولكن طرد الخمينى لم يكن له نتائج سياسية تذكر على العلاقات بين الدولتين الا أن هذا الحدث قد ترك أثارا عميقة لدى الخمينى وأثر على موقفه الشخصى من النظام العراقى . وقعت بالفعل مصادمات فى الاسباب الاولى من قيام الجمهورية الاسلامية وكانت البداية الفعلية لنشوب الحرب هو الشعار الايرانى « تصدير الثورة » وخوف العراق ومن ورائه دول الخليج بوصفهم المقصود الاول بذلك . وفى ضوء ذلك يجب أن نوضح العوامل التالية :

(أ) أصبح العراق بعد الثورة مباشرة ملجأ لاعضاء الجيش الايرانى وأجهزة المخابرات الايرانية وتحول ذلك الى مركز رئيسى لحركة معارضة جديدة

(٢) انظر على سبيل المثال : وزارة خارجية ايران ، نظرة على الحروب المفروضة طهران ١٩٨٣ ، وايضا : وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، حول الصراع العراقى الايرانى .

مناهضة للسلام وايران . وكانت بعض العناصر القيادية في الجيش مثل اللواء « فوزى » ينظمون انشطتهم من العراق . كما استقبل العراق « بختيار » آخر رئيس وزراء في عهد الشاه استقبالا رسميا (النهار في ١٩/٣/١٩٨٠ ، السفير في ٢٠/٦/١٩٨٠) . وعلى الرغم من تعبير العراق عن ارتياحه لانهيان نظام الشاه العدو التاريخى نجد ان ازدهار الزورة وما ترتب عليها من خطر على النظام العراقى دفع العراق للتعاون مع المتعاطفين مع الشاه .

(ب) كان اقليم خوزستان (الأهواز) في عهد انشاء منطقة غير آمنة ومضطهدة تأمل في الحصول على اصلاحات وعلى الحكم الذاتى وتحظى بامسلاح من النظام الجديد .

وكان هذا الاقليم موضوعا دائما في تاريخ النزاعات بين البلدين وقد تصاعدت المقاومة في هذه المنطقة وفي كردستان وفي بعض اقاليم الحدود الاخرى بسبب الموقف السلبي للثورة الاسلامية تجاه مشكلة الجنسية (التى كان لها جذور اسلامية اصولية وعقدية) وايضا بسبب الشك في الاستجابة لمطالب الحكم الذاتى . وساند العراق المنظمات العربية المطالبة بالحكم الذاتى في هذه المناطق (لوموند في ٣/١/١٩٨١) ولم يتحول هذا الخلاف الى مظاهرات ومصادمات وانشطة سياسية فقط بل ايضا الى عمليات ارهابية وعسكرية وجهت ايران العناصر المتحالفة مع العراق مسئولية تفجير أنابيب البترول ، وعلى هذا الاساس قامت الجماهير الايرانية المتظاهرة في خورمشهر بالهجوم على القنصلية العراقية (الطليعة في ١٤/١١/١٩٧٩ ، الجمهورية (بغداد) في ١٥/١١/١٩٧٩) .

وأكد العراق على الوجهة والطبيعة العربية لهذه المنطقة واعترض على تبعيتها لايران وتشير الكتب والخرائط العراقية الى هذه المنطقة على أنها منطقة عربية تحتلها ايران وفيها بعد نشرت ايران هذه الكتب والخرائط كقريئة على نوايا العراق لتقسيم ايران وكوثائق توضيحية لخطط الضم العراقية (الحرب المفروضة في ١٩٨٣) وكان التأييد العراقى لحركة الحكم الذاتى في هذا الاقليم وفي المناطق الايرانية الكردية الموضوع الرئيسى لمذكرات الاحتجاج الايرانية قبل اندلاع الحرب .

(ج) تأثرت المعارضة الشيعية في العراق باحداث ايران على الرغم من انها اتخذت خطأ مستقلا عن ايران . وبعد الحرب مباشرة كثف العراق اجراءات التحكم والقمع ضد الطائفة الشيعية ففى بداية يونيو عام ١٩٧٩ فرضت الاقامة الجبرية على العالم الدينى محمد باقر الصدر بسبب تبادل البرقيات مع الخمينى ورفض العراق بيان احتجاج نشره الخمينى شخصيا باعتباره تدخلا ايرانيا في الشؤون العراقية (النهار في ١٥/٦/١٩٧٩ ، الأنوار في ١٦/٦/١٩٧٩) .

وأصبحت المعارضة الشيعية في العراق موضوعا للنزاع بجانب التدهور العام في الموقف بين العراق وايران واعدام الزعيم الشيعي الصدر وشقيقته قبيل اندلاع الحرب وهي خطوة لم يسبق لها مثيل حتى الآن (بتاتو في ١٩٨١ ، ٨) . وكان الجانب العراقي يعتبر المقاومة الشيعية اليد الطويلة وتدخلا في الشؤون العراقية . وفي الاول من ابريل عام ١٩٨٠ حاول أحد النشطين الشيعيين اغتيال عزيز نائب رئيس الوزراء وحمل ايران مسؤولية هذه المؤامرة وهدد بالانتقام (الجمهورية في ١٩٨٠/٢/٨ ، زمزمى ١٩٨٥ ، ٤٩ ، لوموند في ١٩٨١/٤/٣) .

(د) يجب التنويه بخطة العراق لطرد المدنيين العراقيين من اصل ايراني وتمتد جذور هذه المشكلة الى تاريخ الصراع بين الامبراطورية العثمانية والفارسية على مدى قرن من الزمن . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان من الممكن لسكان العراق الحالي الاختيار ما بين الجنسية العثمانية او الفارسية . ولكن العراق الحالي بوصفه حليفا للامبراطورية العثمانية لم يعترف الا بالجنسية العثمانية كشرط للحصول على الجنسية العراقية ، ومنح الحاصلين على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخلي عن الجنسية الفارسية القديمة والحصول على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخني عن الجنسية الفارسية القديمة والحصول على جنسية عراقية جديدة (الراوى في ١٩٨٠ ، ٤٢ ، ٤٥) ومع ذلك كان في اماكن الذين احتفظوا بالجنسية الفارسية الحياة في العراق . ولا يمكن تصنيف جزء كبير من هؤلاء الاشخاص في عداد « الايرانيين » لأن معظمهم عرب عاشوا على الاراضي العراقية منذ اجيال كثيرة وكان كثير من اجدادهم قد حصل على الجنسية الفارسية لاسباب سياسية او مذهبية وغالبا حتى يتمكنوا من الهروب من الخدمة العسكرية .

ونتيجة للتوتر السياسي بين العراق وايران في عام ١٩٧١ بدأ العراق مؤخرا في طرد المواطنين من اصل ايراني . ولكن توقفت هذه السياسة بعد توقيع المعاهدة الايرانية العراقية في ١٩٧٥ بيد انها استؤنفت مرة اخرى قبل اندلاع الحرب الحالية . وبهذه الطريقة وقبل اندلاع الحرب قام ما يقرب من مائة الف مواطن ايراني بعبور الحدود الى ايران ومعهم مجردون من املاكهم وعلى الرغم من ان النظام العراقي كان يكافئ طلاق الزيجات من اصل ايراني نجد انه قد تمخض عن ذلك الكثير من المآسى العائلية .

(هـ) وكانت عمليات الترحيل الاجبارية تعتبر عبئا اضافيا على ايران التي تحتم عليها ان تحارب في ظل ازمت اقتصادية طاحنة والتي كانت تعاني من معدل عال من البطالة . وحدثت ردود فعل عنيفة في ايران يمكن ادراجها ضمن الاسباب التي ادت اخيرا الى نشوب الحرب . وكان الهدف السياسي

للعراق هو التخلص من عدو داخلي اي التخلص من « الطابور الخامس » ولم يتمكن غالبية النازحين من الاندماج في ايران واصبحوا يشكلون قاعدة لمعارضة اسلامية عراقية تساندها ايران . ومنذ عام ١٩٨٢ اصبح حق عودة هذه الجماهير الى العراق يشكل شرطا ايرانيا ليعقد اتفاق سلام مع العراق .

(هـ) وقعت ايران في عزلة بسبب مشكلة الزهائن ووصلت حدة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية الى اقصاها وادى من جهة اخرى الى نقص في المعدات الحربية وقطع الغيار . وتصادم - قبل نشوب الحرب - الصراع الداخلي على السلطة في ايران . وكان العراق بعد نفسه بعد الثورة الاسلامية لمواجهة عسكرية واخذ يهدد بالحرب منذ ابريل عام ١٩٨٠ حيث كان العراق يرى أن الوضع الداخلي في ايران بصفة خاصة ، وانهباء الجيش ، والصراع الداخلي على السلطة بالاضافة الى الموقف الخارجي خاصة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية ، والعزلة الدولية كان العراق يرى أن هذه الامور كلها تنذر بالحرب -

(و) وصل التوتر بين ايران ودول الخليج الى درجة عالية ورفض العراق تصورات تأمين المنطقة في اطار جهود الوساطة التي بذلتها سوريا للتقريب بين هاتين الدولتين . كما احتج العراق بشدة على هذه التصورات وأكد انه يحارب دفاعا عن مصالح دول الخليج ضد الخطر الايراني . وكانت مطالبة العراق باستعادة الجزر الخليجية التي تحتلها ايران والتي تتبع دولة الامارات تتفق مع هذه الرؤية حيث أضفى العراق ابعاد اقليمية على حربه وعلى مطالبه السياسية واراد بذلك جر دول الخليج الى الاشتراك في الصراع . وكان التنافس العراقي الايراني القديم على الهيمنة على الخليج وراء هذا الهدف السياسي الذي كان لا يمكن تحقيقه الا بعزلة ايران بدخولها في صراع مع الدول العربية الاخرى .

(ز) دخلت معاهدة الجزائر الى طريق مسدود واصبح البند الثالث منها ... الذي ينص على عدم تدخل أي من الدولتين في شئون الدولة الأخرى وإقامة تعاون آمن - أصبح غير قابل للتنفيذ في ظل الظروف الجديدة بعد قيام الثورة في ايران ونظرا لان المعاهدة - كما هو منصوص فيها - لا تصبح سارية المفعول الا بتنفيذ كافة بنودها نجد انها قد فقدت فعاليتها في ظل الشروط الجديدة (الفقرتان الثالثة والرابعة من المعاهدة موجودتان في الملحق - انظر الراوى ١٩٨٠ ، ٩٦) اما بالنسبة للعراق فكان تعديل المعاهدة في صالحه .

وفي سبتمبر عام ١٩٨٠ أعلن العراق من جانبه عدم سريان معاهدة الجزائر . لذلك انهار الأساس الذي يقوم عليه السلام وبرر العراق اتخاذ هذه الخطوة بحجة ان ايران قد خرقت في الواقع هذه المعاهدة (الراوى ١٩٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٠)

وبدأت الاعمال العسكرية في { سبتمبر ويعتبر الغزو الكبير الذى قام به الجيش العراقى في ٢٢ سبتمبر بداية للحرب .

ربط العراق الانتصار السريع بقائمة من الاهداف السياسية بدءا من الاطاحة بالنظام الايرانى وتقسيم ايران بسبب مشكلة القوميات حتى ابرام معاهدة بالشروط العراقية . بيد ان هذه الانتصار السريع لم يتحقق وبدلا من ذلك قامت ايران بغزو مضاد . ونحاول تقسيم مسار الحرب في الفترة ما بين سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٤ بكل ما فيها من احداث عسكرية وسياسية الى ثلاث فترات رئيسية .

— الغزو وحرب المواقع الثابتة : سبتمبر ١٩٨٠ — مارس ١٩٨١

— التقهقر والغزو المضاد : مارس ١٩٨١ — مارس ١٩٨٤

— حرب استنزاف وحرب المواقع الثابتة : مارس ١٩٨٤

الغزو وحرب المواقع الثابتة

سبتمبر ١٩٨٠ - مارس ١٩٨١)

(أ) الغزو

سيطرت وحدات الجيش العراقي في الفترة ما بين ٤ ، ٢٢ سبتمبر على ما يقرب من ٢٠٠ كيلو متر من الارض الايرانية في منطقة سيف التي تعتبر من وجهة النظر العراقية جزءا من العراق . واستمر تبادل النيران بشكل منتظم بين الجنود المرابطين على طول الحدود في هذه الفترة (زمزمى ١٩٨٥ ، ٣٩ - ٤١ ، بيرتسلى ١٨٩١ ، ١١٧) .

وفي ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٠ تصفت طائرات مقاتلة عراقية عشر قواعد عسكرية ومطارات ايرانية في آن واحد تقليد الهجمات الاسرائيلية على السلاح الجوي في مصر في بداية ١٩٦٧ . بيد ان الهجوم كان محدودا نسبيا نظرا لتفوق السلاح الجوي الايراني على السلاح الجوي العراقي كما وكيفا وتدريبيا لطياريه . وكان يمكن ان يؤثر نجاح هذه العملية تأثيرا حاسما على مسار الحرب .

ومن ٢٣ حتى ٢٤ سبتمبر قام السلاح الجوي في كلا البلدين بقصف مكثف للمنشآت الاقتصادية وخاصة حقول البترول التي كانت نقاطا رئيسية للهجوم . وفي ٢٣ سبتمبر بدأت أكبر عملية برية فقد عبر ما يزيد عن ٢٠٠.٠٠٠ جندي عراقى ، من رابع خطوط الجبهة ، الحدود ، لاحتلال اقليم خوزستان بشكل رئيسى انذى تقطنه اغلبية عربية . وكان الهدف الاول احتلال مدن هذا الاقليم خورمشهر وديسبول وعبدان واحواس (حيث تقع أهم حقول البترول (هيرى ١٩٨٤ ، ٥) .

ولم تبد القوات المسلحة الايرانية اية مقاومة منتظمة نظرا لانها لم تكن على استعداد لمواجهة مثل هذا الحدث . وكانت الروح المعنوية والقوة الضاربة في الحضيض بسبب عمليات التصفية والتطهير بعد الثورة . لم يكن عدد الجنود المستعدين للقتال سوى ١١٠.٠٠٠ من بين ٣٢٠.٠٠٠ جندي وكان جزء منهم متورطا بالفعل في الحرب الاهلية المتصاعدة من قبل في كردستان وكان الجزء الاكبر من وحدات الجيش الفنية مرابطا على الحدود السوفيتية ومن الناحية التقليدية كان النقل الرئيسى لوحدات الجيش الايراني في الشمال وليس الجنوب . وقد عمل الغزو السوفيتى لانغانستان والتوتر بين ايران والاتحاد السوفيتى على تثبيت هذه الاستراتيجية وكانت عمليات التطهير في الجيش وصلت ذروتها قبل الحرب انكشاف خطط انقلابية وطبقا لبعض المصادر اتخذ رجال الدين الحاكمون من هذه الخطط ذريعة أن الجيش ليس موضع الثقة . وقامت وحدات من الجيش

تحركت تلقائيا ، بالتصدي للغزو العراقي كما تصدى له الحرس الثورى والحرس المحليون .

واثر عاملان على مصير الغزو العراقى . اولا : لم يشعر السكان العرب في هذه المنطقة باى تعاطف مع الغزاة بل تصدوا لهم . وعلى الرغم من تدهر السكان على الحكم الايرانى لم تصدر اية بيانات تعاطف مع العراق على اساس الخراب الذى نجم عن الغزو (زمى ١٩٨٥ ، ٤٨ ، لوموند فى ٢٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٩) . ولم يتمكن العراق فى غضون شهر كامل من احتلال اى مدينة سوى مدينة خورمشهر . وكان ٩٠٪ من هذه المدينة قد دمر بسبب مقاومة السكان المكثفة . وبعد شهرين سيطر العراقيون على ما يقرب من ثلث الاقليم وهو جزء مدمر وضئيل السكان . وقد تم اجبار ما يقرب من مليون ونصف مليون من سكان خوزستان للهرب الى وسط ايران . ثانيا : اثبت لاجيش الايرانى على عكس التقديرات العراقية ولاءا كاملا للنظام وكان العراق يأمل فى كسب جزء من الجيش لصفه بيد ان العمليات الحربية قد اثرت فى اوساط الجيش الايرانى تماما وشجعت ولاءهم للنظام .

تركزت العمليات الحربية فى الشتاء لاسترداد مدينة عبادان المحاصرة من القوات العراقية . وفى شهر ديسمبر فتح الجيش العراقى جبهة جديدة فى كردستان الايرانية ولم يحالفه النجاح لنفس الاسباب التى واجهته فى خوزستان ، حقيقة كانت الحركة الكردية تحارب النظام الايرانى اعتمادا على مساندة العراق بيد انها لم تربط نفسها بالاستراتيجية العراقية . وفى يناير عام ١٩٨١ حاولت ايران القيام بهجوم صغير بيد انه تعثر . وفى شهرى نوفمبر ومارس لاحت مظاهر الانهك على الجيش العراقى وطبقا لجميع الظواهر لم يعد قادرا على مواصلة الهجوم بنجاح

ب - حرب المواقع الثابتة

استطاع العراق السيطرة على ما يقرب من ١٤٠٠٠ كيلو متر مربع ، ونظرا لانه لم تكن هناك بؤابر على تحقيق نصر سريع أو نهاية للحرب ركز قواه على بناء تحصينات وخطوط دفاعية . وخلال عام تقريبا اى بدءا من مارس ١٩٨١ حتى مارس ١٩٨٢ نظمت ايران المقاومة فى خوزستان ولكنها لم تتمكن من بدء هجوم كبير يمكن ان يرغم القوات العراقية على الانسحاب . وبمرز الزمن انقلب الحظ ليصبح حليفا لايران . فقد قام سلاح الجو الايرانى بتحطيم ٤٦ طائرة عراقية مقاتلة فى غارة ناجحة على قاعدة لسلاح الجو العراقى .

وادعت الحكومة العراقية ان الطائرات الايرانية قد اقلعت من قواعد سورية (هرو ١٩٨٤ ، ٧ : شتاونماير ١٩٨٣ ، ٨٤ ، ٢٤) .

ان ثمة تطورا جديدا، فرض نفسه في هذه الآونة هو المجال الاقتصادي . فقد كانت ايران بعزلتها المتزايدة من أزمات اقتصادية ولكنها زادت اخيرا من انتاجها للبتترول . وباعته بأقل من مستوى الأسعار الذى حددته منظمة الأوبك وترتب على ذلك ارتفاع عائدها من البترول في ابريل عام ١٩٨٢ ليصبح مقاربا لمستوى الذى كان عليه قبل الحرب . ومن جهة أخرى عطلت أحداث الحرب نصتير البترول العراقى من أهم حقوله في الجنوب ونتيجة لذلك لم يتمكن من تصدير سوى ثلث الكمية المعتادة عبر أنابيب البترول الممتدة عبر سوريا وتركيا (هيرو ١٩٨٤ ، ٨) واستنفد العراق — الذى يعد أقوى من ايران من ناحية اعائد البترول — احتياطة من العملات الأجنبية (ما يقرب من ١٥ مليار دولار) وأصبح يعتمد ماليا على دول الخليج .

وادت الاحداث الداخلية في ايران الى تقوية القوى الداعية لواقعة الحرب وادى التخلص من الرئيس بنى صدر والقوى المعارضة الأخرى الى وقوع السلطة السياسية في ايدي الأصوليين الاسلاميين الذين يؤيدون واقعة الحرب .

وتمكنت وحدات الجيش الايرانى من احراز نصر جزئى في العمليات البرية ايضا — نفي صيف ١٩٨١ امكن اختراق الحصار العراقى لمدينة عبادان وفى نوفمبر استولت وحدات ايرانية على تحصينات على طول نهر قارون الذى يعتبر خطا دفاعيا جغرافيا هاما . ويمكن وصف هذه الفترة ابتداء من مارس ١٩٨٢ بأنها فترة حرب المواقع الثابتة فلم يتمكن أى طرف من تحقيق نجاح كاسح (شتاونماير ١٩٨٣ ، ١٣٨٠٢ ، هيرو ١٩٨٤) .

ومن الناحية السياسية وصل الغزو العراقى لايران الى طريق مسدود وانخفضت المطالب العراقية الرسمية عمليا عند نهاية هذه الفترة الى الصفر ونم يبق سوى مطلب الانسحاب الحر وغير المشروط .

كان العراق قد أعلن في بداية الحرب تحرير عريستان البلد العربى (خوزستان) وذكر نائب رئيس الوزراء ان حقول البترول في خوزستان حقول عربية وطالب بأحقية العراق بها (هيرو ١٩٨٤ ، ٦) وفى بداية الحرب كانت هناك مبادرات عديدة من جانب الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز ومنظمة العون الاسلامية لتسوية الخلاف وانهاء الحرب . هذا ووضع العراق — الذى كان يفكر فى انتصار سياسى سريع — الشروط التالية للسلام .

✳ عودة كل شط العرب الى سيادة العراقية .

✳ تعديل الحدود نظرا لان العراق قد شعر بانه تعرض للخساره في معاهده الجزائر .

✳ عودة الجزر الثلاث التى تحتلها ايران للعرب .

* عدم تدخل ايران في الشؤون الداخلية العراقية (زمزمى ١٩٨٥ ،
٩٩ ، لوموند في ١٩٨٠/٩/٢٧ ، ١٩٨٠/٩/٣٠ ، ١٩٨٠/١٠/٣٠) .

ولم تطالب دول الخليج على الاطلاق باستعادة الجزر ولم تجعل من العراق متحدئا عن مطالبها . وكان الموقف الايراني واضحا وهو رفض أى وقف للقتال الى ان يتم الانسحاب غير المشروط للقوات العراقية وادانة المنظمات الدولية للغزو العراقي وقد قيل ذلك بوضوح « لاولوف بلغم » المبعوث الخاص من الأمم المتحدة . وقد حاول العراق — الذى كان مهتما بالتوصل الى حل سريع للمشكلة — ممارسة ضغط عسكري اكبر على ايران عن طريق محاولته احتلال مدينة سوسنجاتر في ١٩ ، ٢٠ مارس عام ١٩٨١ ، بيد ان الجيش العراقى قد منى بهزيمة نكراء في هذه المحاولة الأمر الذى كلن يعتبر اشارة واضحة على حالة الجيش العراقى المنهك . ولقد كانت معركة سوسنجاتر نقطة تحول من مرحلة الغزو الى مرحلة حرب المواقع الثابتة خلال الفترة الأولى للحرب .

ولم تنجح الخطة العراقية لاستغلال تدهر الاقلية القومية في ايران باستثناء نجاح جزئى في كردستان . وكانت التوقعات العراقية تذهب الى ان شخصية ايران الشعبية تمثل نقطة الضعف التى يمكن ان تؤثر على مسار الحرب (وكانت وسائل الاعلام العراقية تتحدث في الغالب من شعوب ايرانية وليس عن شعب ايرانى) . وكثيرا ما كان الرئيس العراقى صدام حسين يوجه رسائله المفتوحة الى « الشعوب الايرانية » . وفي بداية الحرب دعا العراق الشعوب الايرانية الى التحرر من نظام الحمينى والتعاون مع العراق ، ويتضح من ذلك ان الهدف العراقى كان تغيير نظام الحكم في ايران (انظر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٠٠) .

فشلت الجهود الايرانية لكسب الشعب العراقى باستثناء بعض منظمات ذات ميول سياسية واتجاهات معينة ولم تجد نداءات الحمينى للقبائل العراقية للثورة على النظام والسكان المدن للتوقف عن دفع الضرائب واية مستحقات عامة اخرى لم تجد هذه النداءات الا صدى ضئيلا . واتضح في هذا المجال مدى جهل النظام الايرانى بخواص النظام العراقى وظروف الصراعات الداخلية في العراق . وفي ابريل عام ١٩٨١ . أعلنت ايران بما لا يدع مجالا للشك ان هدفها هو الاطاحة بنظام حكم صدام حسين (هيرو ١٩٨٤ ، ٦) .

وكلما ازداد اليأس في مسار الحرب وكلما زاد الخصمان من المناورات في المواقع الحربية الثابتة كلما اصبحت رؤيتهم للهدف اكثر بعدا عن الواقع اتساعا . وجرى ترتيب التحالفات في الفترة الأولى على المستويين الاقليمى والدولى لمواصلة الحرب . وايد الاردن فقط العراق صراحة وبذلك فشلت خطة العراق لتعريب الحرب فقد اعربت المملكة العربية السعودية ودول الخليج عن تأييدها السياسى الحذر للعراق كما قدمت له مساعدات مالية سخية بيد انها

رفضت اى تدخل عسكري ، هذا ووضع الكويت اراضيها وخليج العقبة في الاردن
تحت تصرف العراق . ولكن الهجوم الجوى الايرانى على قوافل النقل العراقية
بالمسيارات فى الاراض الكويتية دفع لكويت لاتخاذ موقف اكثر حرجا
(هيو ١٩٨٤ ، ٦٤) .

كان الموقف الايرانى يحظى بتأييد سوريا وليبيا وبتأييد اقل من الجزائر
واليمن الجنوبي مما ادى الى فشل الخطة العراقية التى تهدف لاقامة تضامن
عربى قوى مع العراق . وفى نوفمبر عام ١٩٨١ اتسع نطاق حملة المتطوعين
المصريين للعراق (هيو ١٩٨٤ ، ٨) وفى ديسمبر أعلنت البحرين عن محاولة
انقلاب قامت بها منظمة موالية لايران الذى فهم على أنه تحذير لدول
الخليج (هيو ١٩٨٤ ، ٨) . وابتداء من فبراير عام ١٩٨٢ انشغل مجلس
التعاون الخليجى بوضع خطط لامن الخليج وقدمت الولايات المتحدة الامريكية
وحلفائها آراء مشابهة (انظر أنتونى ١٩٨ ، ١١٢ ، ١١٤) .

٢٠٤ - الانسحاب والفرز المضاد

مارس ١٩٨١ - مارس ١٩٨٤

(١) انسحاب القوات الإيرانية

لاحت في ربيع ١٩٨٢ بوادر هجوم مضاد من جانب القوات الإيرانية . وتوقع الجيش العراقي الهجوم الإيراني على خورمشهر بيد أن إيران هاجمت خطوط التحصينات الشمالية عند ديسفول . ووقع الهجوم في ٢١ مارس العيد الوطني العراقي وكان لا بد أن يثير هذا التاريخ الرمزي وطنية وحدات الجيش الإيرانية . حيث اشترك ٢٠٠٠٠ جندي إيراني في هذه العملية واستخدمت المدفعية وطائرات الهليكوبتر بجانب الاسلحة الخفيفة والمتوسطة (صـ واريخ آر.بي.جي.٧ ، آر.بي.جي.١٠٠٠ ، السخ) وفي فترة وجيزة تم تحطيم خطوط التحصينات العراقية وتدمير ثلاث وحدات للجيش من بينها وحدة المشاة الميكانيكية كما أسر ١٥٠٠٠ جندي عراقي (شتاونماير ، ١٩٨٢ ، ٤٠) .

وكان الجيش العراقي الذي كان يتوقع هجوما إيرانيا منذ وقت طويل قد أصيبت بالانهك كما تحطمت معنوياته القتالية . بعد أن كان العراق قد دخل الحرب بتعلقسات واسعة في البداية أعلن الآن استعداده للانسحاب غير المشروط . وقد أثار الموقف المتغير داخل أواسط الجيش تساؤل عن جدوى الحرب وأثر تأثيرا مهبطا للعزيمة . وهذا هو السبب المباشر لانتهاء السريع للجيش العراقي الذي كان مفاجأة للمراقبين الغربيين أنفسهم . وبعد الانتصار أعدت إيران نفسها لاستعادة مدينة خورمشهر ولكنها تركت لنفسها مهلة كثفت خلالها الضغط الاقتصادي والسياسي على العراق . .

وفي ٨ أبريل أغلقت سوريا حدودها مع العراق بحجة مساندة العراق لنزوح المسلمين المعارضين ، وبعد يومين أوقفت خط أنابيب البترول العراقي في بنائيس على البحر المتوسط وفي الوقت الذي استطاعت فيه إيران رفع مستوى انتاج البترول الى نفس مستواه قبل الحرب ، انخفض هذا المستوى في العراق ليصل الى ٦٠٠٠٠٠ برميل يوميا . ونتيجة لذلك وجد الرئيس العراقي صدام حسين نفسه مرغما على فرض سياسة تقشفية صارمة في بلاده . والغيت في ظل سياسة « شد الحزام » العديد من الامتيازات أو خفضت .

بدأت الإجراءات السورية الى تضامن الحصور العربي مع العراق
وذكرت مصادر غير رسمية أنباء عن مرابطة أكثر ٢٠.٠٠٠ جندي أردني في
العراق . أما مصر فباعت للعراق في مارس ١٩٨١ أسلحة بلغت قيمتها مليون
ونصف مليون دولار (واشنطن بوست في ٢١/٥/١٩٨٢) كما شجعت اشتراك
المتطوعين المصريين في الحرب . ومن بين المليون المصري العاملين في العراق
تطوع ما يقرب من ١٥٠.٠٠٠ و ١٧٠.٠٠٠ في خدمة الجيش العراقي . وقد
انكر العراق وجود أية وحدات أردنية أو مصرية نظامية بيد أنه أعلن النجاح
١٤.٠٠٠ عربي من دول عربية أخرى (مصر والاردن والسودان والمغرب
وتونس واليمن الشمالي) بالجيش الشعبي العراقي (هير ١٩٨٤ ، ٨) .

واقترح العراق الذي كان يخشى هزيمة في خورمشهر هدنة للانسحاب
غير المشروط لجيشه . ورفضت ايران هذا العرض لانها كانت تدرك مدى
الضعف الذي أصاب العراق وفي ٢١ مايو بدأت ايران الهجوم على الجنود
العراقيين الـ ٣٥٠.٠٠٠ الذين كانوا يحاصرون خورمشهر بحوالي ٧٠ ألف
جندي ايراني ولم يكن هناك صدى للنداء العراقي الذي وجهه الى الجامعة
العربية . وفي ٢٤ مايو انهار الجيش العراقي ووقع ١٢٠.٠٠٠ جندي عراقي
أسرى في أيدي الجيش الايراني . وبعد تحرير خورمشهر ركزت ايران عملياتها
في المناطق الواقعة في القطاعات الشمالية والوسطى من الجبهة والتي كانت
لا تزال محتلة من العراق .

حددت ايران الآن أهدافها السياسية من الحرب بشكل مادي . وسعيا
الى تحييد دول الخليج أظهرت عدم اهتمامها بالتدخل في شئون تلك الدول .
وأصبح السلام ممكنا من وجهة النظر الايرانية في حالة عزل الرئيس العراقي .
وتشاورت كل من المملكة العربية السعودية وسوريا حول الخليفة المتوقع
لصدام حسين . وقد اقترحت المملكة العربية السعودية شفيق دوراشي لهذا
المنصب الذي كان سفيرا للعراق في الرياض كما كان رئيسا سابقا لجهاز
المخابرات وسكرتيرا سابقا لمجلس الثورة العراقي . أما سوريا فقد شجعت
فكرة عودة الرئيس العراقي السابق البكر الذي استطاع تسوية الصراعات
المستعرة بين أجنحة حزب البعث في ربيع ١٩٧٩ وتمكن بذلك تحقيق التقارب
مع سوريا الى أن استبعده نائبه صدام حسين (جارديان في ٣١/٦/١٩٨٢) .

ولا يعول على المعلومات الخاصة بالمفاوضة السرية ومن الممكن تماما ان
يكون الايرانيين . الذين كانوا يشعرون بموقفهم القوي — قد أبدوا عدم
استعدادهم لقبول مرشح يقبل التسوية . فقد تم اعدام عدد من السياسيين
من بينهم ابراهيم وزير الصحة — الذين كانوا يؤيدون اقتراحات التسوية
على أساس انها في مصلحة العراق .

وفي ٢ مايو تقدم مجلس التعاون الخليجي اقتراحا بوقف اطلاق النار لمدة عشرة أيام حتى يتم انسحاب الجيش العراقى وأجراء مفاوضات جديدة بين الاطراف المتنازعة على أساس اتفاقية الجزائر ورفضت ايران هذا الاقتراح أيضا (هير ١٩٨٤ - قارن الجارديان في ١٩٨/٥/٧) .

وأضاف غزو اسرائيل للبنان في أوائل يونيو عام ١٩٨٢ عنصرا جديدا للحرب . وقد حلول العراق الاستفادة من هذا الوضع حيث دعا الى انتهاء الحرب والنضال المشترك ضد اسرائيل . وردت ايران بشكل واضح أن « تحرير القدس يمر عبر كربلاء » (زمزمى ١٩٨٢ - ١٢٢ - ١٢٧) .

الغزو المضاد

رفضت ايران في ١٢ يوليو ١٩٨٢ اقتراحا من جانب مجلس الامن بتضمين مدينة يتم خلالها انسحاب كل من الجيشين . وكانت ايران تخطط للقيام بغزو للعراق بهدف الاستيلاء على البصرة ثانياً أكبر المدن العراقية . وفي الفترة بين ١٢ حتى ٢٢ يوليو وصلت القوات الايرانية الى مواقع مجاورة تماما من المدينة بيد أنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها . وقد تكبدت ايران خلال المعارك الحربية أكبر خسائرها من الجنود (هيو ١٩٨٤ ، ١٠ ، أنظر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٢٧) . ويرجع الفضل في نجاح العراق الى سلاحه الجوي القوي والى أكبر قوة للنيران والى الخطوط الدفاعية التي أنشأها خبراء عسكريون أجانب على أحدث النظم وبالإضافة الى ذلك لعبت الروح القتالية للقوات العراقية التي كانت تحارب على أرضها وليس على أرض أجنبية دورا أساسيا وكانت ايران لا تضع هذا العامل في اعتبارها في العمليات الايرانية الأخيرة .

بيد ان ايران تمكنت من احراز نصر دبلوماسي ، وتحت الضغط الايراني تم إلغاء مؤتمر عدم الانحياز الذي كان سيعقد في العراق ونقل الى مكان آخر (وكان العراق قد أعد قائمة مؤتمرات جديدة لهذا الغرض كما كان صدام حسين يأمل في رفع مكانته) .

وقدمت ايران مطالب جديدة : —

— ادانة الغزو العراقي .

— حق العودة لمئات الاولوف من الشيعة الذين طردوا من العراق .

— دفع مائة مليار دولار كتعويض عن خسائر الحرب (هيو ١٩٨٤ ، ١٠) .

وفي شهر سبتمبر ونظرا لاقتراب موسم الحج تقدم مؤتمر فاس باقتراح حديد لوقف القتال وهو : انشاء صندوق اسلامي خاص لاعادة التعمير تشترك في تمويله الدول العربية البترولية ويتولى دفع التعويضات المطلوبة ولكن ايران رفضت هذا العرض أيضا نظرا لانها كان مهتمة أساسا باحداث تغيير رانيكالى في نظام الحكم العراقي . وابتداء من نهلية شهر اكتوبر عام ١٩٨٢ حتى يوليو عام ١٩٨٣ نظمت ايران هجمات موسعة في القطاع الاوسط للجبهة (تجاه بغداد) وفي المنطقة الكردية في الشمال عن طريق ما يسمى « بالحوائل البشرية » وقد كبدت هذه العمليات ايران خسائر فادحة ولم تحقق سوى نجاح نسبي فقط . فقد تمكنت ايران حقا من كسب اراض جديدة بيد انها لم

تستطع الاستيلاء على أية مدينة أو على الطريق الاستراتيجي بين بغداد والبصرة .

أما بالنسبة لقطاع التسليح فقد تحول (البترول) لصالح العراق الذي كان قد فقد أثناء فترة الانسحاب والغزو الإيراني المضاد ١١٧ طائرة و ٢٣٠٠ دبابة ولكنه تمكن بسرعة من تعويض هذه الخسائر . واعد العراق بناء أسطولته الجوي بحوالي ٢٣٠ قطعة من الطائرات الصينية الصنع (ام . ان سي . ام ١٩ ، ام ١٩ ، ام ٢١) التي اشترتها من مصر بالإضافة الى طائرات الميراج الفرنسية (هيرو ١٩٨٤) . واعد الاتحاد السوفيتي ، الذي كانت اسلحته في بداية الحرب تشكل ٨٥٪ من الاسلحة العراقية والذي كان قد خفض امداداته من الاسلحة بشكل كبير ، واعد الى تكثيف هذه الامدادات بسبب الغزو الإيراني المضاد ورفع الحظر الذي كان مفروضاً على مبيعات السلاح وحصلت ايران على مواد التسليح من كوريا الشمالية ومن سوريا وليبيا من السوق السوداء الدولية كما تمكنت أيضاً من تنظيم الحصول على قطع غيار اسرائيلية الصنع لطائراتها وكان النقص في التسليح واضحاً بالنسبة للسلاح الجري ولم تتمكن الحوائط البشرية أن تحل محله وانخفض عدد المتفجرات في فترة الحرب من ٤٧٥ الى ٨٠ طائرة (هيرو ١٩٨٤ ، ١٠ ، انظر شاونماير) .

وكانت هناك ظروف سياسية مسؤولة عن فشل الغزو الإيراني المضاد والهجمات الإيرانية المضادة . ففي الفترة التي تلت النجاح العسكري العراقي في كردستان (احتلال منطقة حاج عمران) أعلنت ايران أن توحيد المعارضة الشيعية في العراق فيها يسمى بمجلس الثورة الاسلامية في العراق يعتبر بديلاً عن النظام الحاكم ، بيد أن هذا البديل الشيعي المتحالف مع ايران لم يلق سوى قبول ضئيل بين الشعب العراقي خاصة في كردستان . ويمكن الإشارة الى أسباب أخرى أدت الى فشل الغزو الإيراني المضاد كالعزلة النسبية للبلاد والمحاولات التي بذلت من أجل كسب النفوذ السياسي في العراق ، مما ساعد صدام حسين على مساعدات غير متوقعة . وعلى الرغم من التثوق العسكري الإيراني في النصف الاول من عام ١٩٨٢ نجد أن العوامل السياسية - وخاصة تأييد الدول الكبرى والاقليمية للعراق - أدى الى افضال الأهداف الإيرانية لتغيير نظام الحكم العراقي (هيرو ١٩٨٤) .

واستطاع الجيش العراقي حقا إيقاف الزحف نحو مدنه ، بيد أنه لم يتمكن من طرد الجيش الإيراني خارج البلاد بل قلم العراق بقصف المدن الإيرانية . وفي يناير عام ١٩٨٧ أمدت فرنسا العراق بأحدث الطائرات وهدد العراق بقصف حقول البترول الإيراني وكان العراق يبغي تحقيق هدفين من هذا التهديد :

أولاً : اجبار كل من ايران وسوريا على فتح خط أنابيب البترول العراقي المتوقف على البحر المتوسط .

ثانياً : توريط دول الخليج والدول الكبرى في الصراع للتعجيل بانتهاء الحرب .

واعلنت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية وخاصة فرنسا في هذه الفترة تأييدها للعراق وذلك للحيلولة دون أى هجوم إيراني حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى أساساً الى تأمين حلفائها في الخليج وتأمين مصالحها الاستراتيجية ، اياً من فرنسا فقد كان اهتمامها منصباً على الحفاظ على مصالحها كمنتج للأسلحة مورد لتطوع الغيار لنظام صدام حسين (هيو ١٩٨٤ ، ١١) وقد وصلت قيمة صادرات الاسلحة الفرنسية في الفترة من سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٣ حوالي ٦ مليارات دولار ، وتمت تغطية عملية الدفع عن طريق قرض فرنسي (هيو ١٩٨٤ ، ١١) وكان انتقال السلطة الى نظام اسلامي موال لايران يعنى اصابة فرنسا بخسائر اقتصادية فادحة الى جانب النتائج الاقتصادية غير المرجوة وقد كان ممكناً أيضاً أن تتزايد حجم هذه الخسارة في حالة رفض هذا النظام إعادة دفع الالتزامات القائمة .

وفي عام ١٩٨٣ ، احتلت ايران مناطق جديدة في بن جوين في كردستان العراقية واضطر السراق الى ارسال قوات الحرس الجمهوري للدفاع عن المناطق واستخدام الاسلحة الكيميائية لأول مرة . وتصف المدن الايرانية بأحداث الصواريخ من طراز سكود بي وأجبر الهجوم على السفارة الأمريكية (في نوفمبر) ومنشآت كويتية من قبل المنظمات الموالية لايران والكويت على وقف تأييده للعراق .

وفي فبراير عام ١٩٨٤ بدأت ايران في شن هجوم جديد على الجبهة الجنوبية بهدف الاستيلاء على مدينة كورنا الواقعة على ملتقى نهري دجلة والفرات عند مدخل شط العرب . وفي ٢٢ فبراير أعلنت ايران نجاح هذه العملية ، الامر الذي كان مفاجياً للحقيقة ، فالوحدات الايرانية كثرت تد وعلت بالفعل الى الطريق الذي يربط بين بغداد والبصرة الا انها اجبرت على التراجع وقد احتلت القوات المسلحة الايرانية في سياق هذه المعارك جزيره مجسر الغنية بحقول البترول غير المستغلة .

بعرض العراق في هذه الحقبة لضغط مكثف لم يستطع الصمود امامه الا بالمساعدات العسكرية الضخمة من الاتحاد السوفيتي وفرنسا ومصر . واعتبرت الصحافة العالمية في عام ١٩٨٣ تغيير الحكم في العراق يتفق مع المصالح الايرانية وامراً محتمل الحدوث ، بيد أن الهجوم كان مازال بعيداً عن هذا الهدف على الرغم من النجاح الجزئي الذي أحرزته القوات الايرانية .

٣/٤ حرب الاستنزاف وحرب جديدة

للمواقع الثابتة وأرس ١٩٨٤

يعتبر التوتر في الخليج وما يسمى « بحرب الناقلات » علامة بارزة لبداية هذه الفترة فقد كان السلاح الجوي العراقي قد هاجم ٥ ناقلات وسفن أخرى في الخليج في السنوات الثلاث الأولى من الحرب وكان العراق يهدف من وراء ذلك الى تدمير محطة تصدير البترول الإيرانية في « جزيرة خرج » وفي ١٢ أغسطس عام ١٩٨٢ أعلن العراق أن أجزاء الشمالى من الخليج يعتبر منطقتة عسكرية محظورة . وفي الفترة من ١٨ الى ٢٥ اغسطس قصفت الطائرات العراقية المقاتلة أجزاء من هذا الميناء البترولى ، ولكن لم يؤثر على تصدير البترول الإيراني الا بدرجة ضئيلة . وفي ٢٧ مارس عام ١٩٨٤ استخدم العراق الامدادات العسكرية الفرنسية ودمر أجزاء هامة من الميناء البترولى الامر الذى كان له اثر بالغ في هذه المرة على تصدير البترول الإيراني ، وهددت إيران هذه المرة باغلاق مضيق هرمز وكان يمكن أن يشل ذلك حركة الملاحة في الخليج ، ويجمد الجزء الأكبر من صادرات البترول لدول الخليج وكان الاسطول الإيراني الذى كان متقوما على الاسطول انعم . منذ بداية الحرب بالاضافة الى ساحل الخليج الإيراني الطويل يشكلا تهديدا جادا على دول الخليج . وقد دفعتها الرغبة لضمان أمنها في ابداء استعدادها وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية للتفاوض (هيو ١٩٨٤ ، ١٢) .

وفي ٢٥ ابريل أصابت صواريخ عراقية احدى الناقلات السعودية وكانت قد أبحرت من ميناء خُرج الإيراني . وفي ٧ و ١٥ مايو دمرت أيضا ناقلتين أخرتين في هجوم جوى . وادى ذلك الى خلق موقف متوتر للغاية في المنطقة دفع الرأى العالى الى اعادة تذكر هذه الحرب المنسية .

وخضع العراق لضغط دول الخليج المهددة ، والتي تساند العراق ماليًا وأوقف حرب الناقلات للحيلولة دون حدوث تصعيد أكبر في الخليج . وفي ١١ يوليو عام ١٩٨٤ قبلت الدولتان المتحاربتان مبادرة من الامم المتحدة . فقد أثرت حرب الناقلات على الأوبك وعلى تصدير البترول والإيراني . وارتفعت أسعار التأمين في مايو ١٩٨٤ من ٧٥٪ الى ٧٠٪ (هيو ١٩٨٤ ، ١٣) . وادى الهدوء ، خفة حدة التوتر النسبى في الموقف في الخليج الى عدم تدخل الدول الكبرى في أحداث الحرب ، بيد أن ذلك كان يعنى اطالة أمد الحرب البرية . ونظرا للخسائر الفادحة تم استبدال (التاكتيك) الإيراني — أى فاستبدلت إيران بالهجوم الكبير عن طريق الحوايط البشرية — حرب استنزاف طويلة .

وعلى أساس ما سبق ذكره من عوامل أساسية لا يبدو أن هناك نهاية
تربية للحرب . فقد أدت العوامل الخارجية إلى الحفاظ على التوازن في كل
من إيران والعراق وثبتت عجز كلتا الدولتين عن تحقيق نجاح حاسم ولذلك
ليست هناك نهاية لحرب الاستنزاف ولحرب المواقع الثابتة .

وأثرت العوامل الاقليمية والدولية على الطريق المسدود بقدر تأثيره
بانهيكل انداخية للدولتين المتورطتين في الحرب والتناقضات الثقافية والدينية
والقومية فيهما .

وسيتناول الجزء الثاني من الكتاب تحليلا لهذه العوامل واثارها على
مسار ونتائج الحرب . ويعتمد الوصف العسكري للمسار العسكري للحرب
في هذا الكتاب أساسا على مقتل ديليب هير في ميريبي ريبورت عدد ١٢٥ ،
٢٦ سبتمبر عام ١٩٨٤ .

٥ - مدخلات الحرب وتأثيراتها

تحولت المواجهة العسكرية بشكل متزايد الى وضع الجمهور بين كلا
الطرفين وأصبح البحث عن الحل السياسي غير وارد بالرغم من حرب
الاستنزاف . وفي خريف سنة ١٩٨٣ أخذت الحرب الإيرانية بعدا جديدا ، فمن
ناحية تزايد خطر امتداد ويلات الحرب الى الدول الخليجية مع احتمال تورط
القوى العظمى . ومن ناحية أخرى تحول الصراع وبشكل متزايد الى المستوى
الاقتصادي . وولد ذلك في البداية انطباعا بأن طرفي الحرب ربما تمكنا من الخروج
من الطريق العسكري المسدود للحرب واتجها الى حل سياسي .

وأوضحت الحرب الاقتصادية التي وصلت الى ذروتها بالتدمير الجزئي ببناء
تصدير النفط الإيراني ، مدى ما أصاب الدولتين وأظهرت في نفس الوقت بجلاء
صعوبة تدمير القدرات والطاقت الاقتصادية لكلا البلدين بشكل كامل كما
بينت قدرة التكيف الضخمة للهيكل الاقتصادية مع الظروف المتغيرة ، وسنحاول
في هذا الفصل تحليل المدخلات السياسية والاقتصادية للحرب في كلا البلدين وكذا
تأثيرات هذا الصراع على المستوى الاقليمي وعلى سياسة القوتين العظميين

٥ - ١ : تأثيرها على ايران :

على الرغم من أن حجم الحرب قد فاجأ ايران وأصابها داخليا وخارجية خاتفة نجد ان الحكام الايرانيين وصفوا الحرب لأية الله الخميني على انها « هبة من السماء » . ورحب قطاع من المؤسسة الايرانية الحاكمة بهذه الحرب على المدى الطويل انطلاقا من مصالح واضحة وجليّة واطمئاع اقليمي وريّات هذه الحرب لحكام ايران تحقيق الاهداف الداخلية التالية :

— تعبئة الجماهير ضد أي عدو خارجي لتأمين القاعدة غير المستقرة للجمهورية الايرانية الجديدة من وجهة نظر النظام .

— القضاء على المعارضة ، خاصة من التيارات اليسارية والوطنية وكذلك أيضا ما يصفه الحكام المتشددون بالاتجاهات الاسلامية الليبرالية التي يمثلها بنى صدر .

— أخفت الحرب الازمة الاقتصادية الطاحنة وأصبحت غير مسئولة عن عدم الوفاء بأغلب الوعود التي قطعتها الثورة على نفسها وعلى الرغم من الخراب والخسائر البشرية وتدمير المنشآت الاقتصادية رسخ وضع الحكام الايرانيين وتوطدت الدولة ومؤسساتها .

ويمكن بيان المؤثرات السياسية على جهاز الدولة كما يلي :

(١) قوى مركز الجيش الذي كان ضعيفا قبل اندلاع الحرب وغير منظم في بداية الحرب ونقصه بعض التجهيزات وكان لا ينعم بثقة الحكام الجدد بوصفه حاملا لايدولوجيات ما قبل الثورة القديمة وأعيد تنظيمه ورد اعتماره سياسيا وصار من أهم عوامل الحكم وكان الجيش قد تعرض قبل الحرب لبعض حملات التطهير وأصبح الخميني يطلق عليه الآن جيش الاسلام وجيش امام الزمان (أي المهدي المنتظر المخلص للشيعة) . . (انظر رسالة الخميني في ٤/٣/١٩٨١) .

(ب) حقق الحرس الثوري الذي يمثل إحدى الجماعات الموالية ايدولوجيا لنظام الحكم ، نفوذا واسعا ابان الحرب فمن ناحية زاد عدد أفراده الى ما يزيد عن مائة ألف وازدادت قوته بانضمام مئات الالاف من المقاتلين المتطوعين . ومن ناحية أخرى استغل الحرس الثوري الحرب ودوره فيها لتحسين تسليحه بأسلحة خفيفة وثقيلة (صحيفة جمهوري اسلامي في ١٢/١١/١٩٨٠) : فضلا عن ذلك حظى الحرس الثوري بأهمية سياسية متعاظمة في الصراعات الداخلية على الحكم مما أدى الى تعيين وزير مسئول عن حرس الثوري الى جانب وزير الدفاع وأكد الحرس الثوري في هذه الحرب أنه يمكن أن يكون بديلا

عن الجيش أو على الأقل هو تنظيم مواز له القوة والأهمية . وفي الوقت الذى كان الجيش النظامى يعمل فيه على الجبهة كان الحرس الثورى يتولى الاشراف على المواقع الاستراتيجية فى البلاد وفى مقدمتها أهم المدن وأمن لنفسه بذلك قاعدة نحو أى قادم على الحكم .

(ج) ترشيح بيروقراطية الدولة بعد القضاء على اتجاهات معينة وتوحيد السياسة القياديين بعد انشاء جهاز قهوى منظم . وفى المجال الاقتصادى عملت القيادة الدينية على وقف أى خطوات أخرى للتأميم وكان من الممكن أن تؤدى الى تنامى السلطة الاقتصادية للدولة . ونظرا لان الحرب تدعم الاتجاهات المركزية نجد أن احتمالات حدوث مثل هذا التطور مازالت قائمة .

وأثرت العوامل التالية بشكل سلبى على الموقف فى إيران :

- العزلة الدولية بسبب خطف الرهائن وما أدى ذلك من عقوبات .
 - .. الصراع مع دول الخليج مما أدى الى دعمها للعراق .
 - وجود مشاكل داخل القيادة المستقلة للقطاع الصناعى .
 - وجود نقص فى التكنولوجيا المتقدمة وفى نوعيات الاسلحة المتخصصة وفى المقابل أفادت العوامل التالية الموقف الايراني :
 - ترامى مساحة البلاد وما يرتبط بذلك من ترامى مساحة العمق ومرونتها استراتيجية وعسكريا .
 - زيادة عدد سكان إيران ثلاث مرات على سكان العراق مما يسبب لطهران بتعويض الضعف الفنى بالتفوق البشرى .
 - القوة الايديولوجية لدى إيران أفادت فى القيام بعملية تعبئة واسعة أثناء الحرب ، مما أتاح قاعدة سياسية آمنة للحكام .
 - الاعتماد المحدود غير المطلق على البترول بالمقارنة مع العراق ، مما ترتب عليه تحدد فى الحرب الاقتصادية وتحدد استيراد المواد الغذائية ومساهمة جزء كبير من رأس المال الخاص فى الصناعة .
- أما الصعوبات الأخرى مثل المعدل العالى للبطالة وتدفق اللاجئين فقد حاولت إيران الحد منها عن طريق التعبئة السياسية والايديولوجية والدعوية للحرب .

٢/٥ : تأثيرها على العراق

أخذت القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية للعراق في الانخفاض عند بدء الحرب ومع استمرارها ولكن العراق استفاد من الأمور التالية : --
-- وجود احتياطي كبير نسبيا من العملات الصعبة مع وجود جيش جيد التسليح ولكن كلا هذين الأمرين تآكلا مع استمرار الحرب .

توافق الظروف السياسية الدولية والاطلحية التي وفرت للعراق مساندة على كل الاصعدة عوضت نسبيا ضعف البلاد الناشء عن عوامل داخلية .
-- مع استمرار انحرب استفاد العراق من عدم قبول الشعب العراقي للرؤية الايديولوجية الايرانية . فعلى الرغم من أن العراق هو الذى بدأ الحرب نجد أنه استطاع استغلال رفض قيام نظام حكم اسلامي وتحويله الى سلاح دفاعي للوقوف امام القوات الايرانية الغازية .

-- لم يساند العمق العراقي ، المتمثل في الاردن والسعودية والكويت ، العراق ماديا فقط بل وضعت هذه الدول ما لديها من امكانيات مالية ومادية تحت تصرف بغداد واعطت ذلك حق استخدام القواعد العسكرية الاردنية وقد استفادت الطائرات العراقية من ذلك عند تعرضها لاي مازق .

-- وجود مصادر متنوعة للتسليح .

اما العوامل التى اضعفت موقف العراق فلقد كانت كما يلي : --

-- الوضع الجغرافي ، فبغداد العاصمة واغلب المدن وأهم المناطق الصناعية وحقول البترول تقع على نهر دجلة على مقربة نسبية من الحدود الايرانية ومن السهل من الناحية العسكرية الاستيلاء على بعض المنشآت المركزية من هذا العصب الحيوي العراقي .

-- اعتماد شبه كامل على عائدات البترول وتشغل صادرات البترول العراقي أكثر من ٩٠٪ من اجمالي حجم الصادرات .

-- وجود نظام اقتصادي وسياسي منظم مركزيا ، يعتمد على وجهة نظرية عسكرية وسياسية متخامة ، وتعتمد كفاءته على استقرار السلطة الحاكمة . ومن الممكن أن يؤدي عدم استقرار قيادة الدولة الى هزات متواصلة ولذا نجد أن المؤسسات الاقتصادية والسياسية لا تستطيع الاستقلال عن بيروقراطية الدولة .

-- تعتبر اغلب قطاعات الجبهة مناطق حساسة بسبب الجماعات الكردية والشيعية الساخطة هناك .

— الاعتماد على قروض اجنبية والتمويل الاجنبي للحرب . وخاصة المساعدات المالية التي تقدمها الدول الخليجية (والتي وصلت في عام ١٩٨٤ الى ما يقرب من مليار دولار شهريا انظر سلوجيت/ ستورث . ٢٧ ف) وقد انكشفت مواطن ضعف العراق التي غطى عليها بنجاح خططه العسكرية على مدار الحرب ففي عامي ١٩٨٤/٨٣ كان العراق على شفا الانهيار الا ان العوامل الخارجية فقط هي التي ساعدت على تهذئة الوضع الحرج وامتدت العراق بالوسائل التي تمكنه من خوض حرب طويلة المدى .

وتظهر النظرة للحرب بدءا من الغزو العراقي لايران ثم الغزو الايراني الضاد ثم حرب المواقع انثابتة ، تظهر بجملاء مدى تأثير بعض العوامل الاقليمية الدولية وبخاصة على الصعيد الاقتصادي — لتسيير الحرب من الناحية التنظيمية قد اثر ذلك على منع الانهيار الاقتصادي لاي من طرفي الحرب ، هذا الانهيار الذي يعني انتهاء الحرب .

في الأشهر الأولى ، التي تلت اندلاع الحرب ، اصبحت المراكز الحساسة لدى كلا البلدين ، ففي ايران تعطلت اهم معمل تكرير البترول وتعطلت عمليات نقل البترول العراقي عبر الخليج بسبب سيطرة الاسطول البحري الايراني . وعانى البلدان من الدمار المؤثر وان كان نصيب ايران اقل من العراق وعملت السياسة الاقتصادية في كلا البلدين على حسم هذا الأمر بالاضافة الى الاسباب التي سبق ذكرها ، وأملت ايران على شعبها — قبل الحرب سياسة تقشف مدعومة بالحجج الابدولوجية . بينما كان العراق يبتئ لشعارات الداعية لزيادة رخاء والاستهلاك (ستافور عام ١٩٨٥ ، ٤٦ ، — ٢٨) .

وقلت التحالفات الاقليمية من خطر الانهيار الاقتصادي ، فقد استطاع العراق استيراد سلعة عبر الأردن والكويت وتلقى معونات مالية ضخمة من الدول الخليجية . واعتمدت ايران على معونات ليبيا وسوريا التي استخدمتها سوريا كوسيلة ضغط لتجميد الدول الخليجية .

وأبتداء من خريف سنة ١٩٨٣ تمكن العراق على الأقل نظريا من تجميد صادرات البترول الايرانية . ولكن خطر التصعيد وضع حدا لهذه الامكانية .

وكان بحوزة كل من ايران والعراق الوسائل الكافية لمواصلة الحرب على الرغم من مصاعبها الاقتصادية الضخمة وخطط العراق لزيادة صادراته النفطية عبر تركيا التي بلغت في عام ١٩٨٦ مليون ونصف مليون برميل يوميا . وكان العراق يريد ابتداء من نهاية سنة ١٩٨٦ تصدير ثلاثة ملايين برميل يوميا عبر تركيا وانه يربو للعودة الى مستوى تصدير ما قبل الحرب .

ومن المتوقع أن تساعد هذه الخطط العراق على الخروج من ضائقته
المالية في الخارج وتخفيف نفوذ الدول الخليجية .
وعلى الجانب الآخر أعدت إيران نفسها لشن حرب استنزاف طويلة
المدى . واستكملت من خطوط السكك الحديدية عبر الاتحاد السوفيتي وكذا طرق
المواصلات مع تركيا . وحظيت الموانئ الجديدة في الجنوب بأهمية كبرى .
حيث استخدمت كموانئ نفطية آمنة نسبيا من الهجمات العراقية . واضطر
العراق للتخلي عن موانئه المطلة على الخليج وخط انابيب بترولته الذي يمر عبر
سوريا كما اضطرت إيران للتخلي عن عمليات النقل التجارية في القطاع الشمالي
بالخليج (سنافر ٢٥٠ ف) .

٢/٥ المؤثرات على دول الخليج والمنطقة

بما أن الحرب بين العراق وإيران كانت نتيجة للصراعات الإقليمية ، لذا أثرت هذه الحرب على الصراعات الإقليمية الأخرى حيث كانت دول الخليج مهددة بشكل مباشر بامتداد الحرب إليها .

وصارت الحرب أهم عامل في السياسة والتحالفات الإقليمية لطرفي الصراع ، وأصبح العراق يعتمد على مساعدة دول الخليج ولذا اضطر لاختفاء طابع محافظ ومعتدل على سياسته الإقليمية . ومن ناحية أخرى أدت الحرب إلى عزلة إيران في المنطقة وزيادة التوتر مع الدول الخليجية . وأصبحت العلاقات مع الدول العربية محدودة باستثناء التحالف مع سوريا وليبيا ، وإلى حد ما مع اليمن الجنوبي والجزائر .

وكان انشاء مجلس التعاون الخليجي من الكويت والسعودية والبحرين والامارات العربية المتحدة وقطر وعمان في فبراير سنة ١٩٨١ بمثابة رد فعلى مباشر على حرب الخليج وكانت أهدافه اقتصادية في البداية لتوحيد مواقف أعضائه داخل الأوبك . ولكنه أخذ يهتم بالمصالح العسكرية والأمنية مع تنامي الوضع في فبراير سنة ١٩٨٣ وفي عامي ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ نوقشت الخطط الأمنية للخليج وكذا تسليح الدول الخليجية واجراء مناورات مشتركة (أنظر أيوبى / خيلى ١٩٨٣ ص ١٦٢ - ١٦٦ أنظر باسيين ، سنة ١٩٨١ ص ٨٤) وكانت بريطانيا قد فكرت في عام ١٩٧١/٧٠ ، بعد حصول هذه الدول على استقلالها في انشاء مجلس مشترك لملء الفراغ الذى حدث بعد خروجها (أنظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٨) ولكن حالت الخلافات بين إيران والعراق وخوف الدول الخليجية من أطماع الهيئة لهذين البلدين دون تنفيذ هذه الفكرة . انشاء هذا المجلس في عام ١٩٨١ بدون العراق وإيران تحت ضغط الحرب المتصاعدة .

ووقف مجلس التعاون الخليجي الى جانب العراق بسبب الدواعى التى أدت الى قيامه والواردة بالفصلين ٣ ، ٤ ، وشجع طول أمد الحرب وعدم وجود أهل في حلها وأخطار التصعيد في الخليج ، المسامى البذولة لانتهاء الصراع ، أو لحصره على الأقل في العمليات البرية وانفتح المجلس الخنيجي بقدر معين على - إيران ، فلم يكن الخطر على الدول الخليجية يأت فقط من جانب إيران ففضلا عن حوادث الاغتيال والتدمير التى كانت تقوم فيها الجماعات الموالية لإيران في دول الخليج حدثت استنزافات مشابهة من جانب العراق . نسف أى تقارب بين دول الخليج وإيران ولذا هاجم العراق وإيران:

ناقلات البترول التابعة لدول الخليج في حرب الناقلات (انظر هيروسة ١٩٨٤ ص ١٢) .

ويعد تحييد مجلس التعاون الخليجي وتطبيع العلاقات بين الدول الخليجية وايران انتكاسة وضربة قاصمة للعراق . ولم تصدر في هذا الصدد بيانات ضمان ايرانية بعدم التدخل في دول الخليج . ويلاحظ في ايران وجود اتجاهات لتطبيع العلاقات عن طريق الوساطة السورية ، ولكن هدد هذا الاتجاه الخوف من عودة ايران لموقفها التقليدي كحامية في الخليج .

وكان أمن دول الخليج موضع نقاش في الدول الكبرى — وخاصة في أمريكا وعلى الرغم من الاختلافات في الرأي داخل مجلس التعاون الخليجي نجد أنه يرفض أى تواجد مباشر للولايات المتحدة حيث أن ذلك لن يؤدي فقط الى تارجح الصراعات بين الدول الكبرى بل سيؤدي أيضا الى تزايد الخطر الذي تتعرض له الأنظمة الحاكمة هناك من جانب القوى الثورية بسبب زيادة الروح المملدية لأمريكا في المنطقة . ولذا سعى مجلس التعاون الخليجي الى تامين الخليج عن طريق النشاطات الدبلوماسية (انظر ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ١١٢ وانظر دواشه سنة ١٩٨١ ص ٥٩١) ويمكن تصدير الآثار والمنتجات العامة بحرب الخليج على الشرق الاوسط والسياسة العربية كما يلي : —

أ — صعود نجم سوريا في العالم العربي

تستهدف سوريا من وراء قيامها بدور الوساطة بين ايران ودول الخليج عزل العراق وضمان أمن دول الخليج . وادت الحرب الى القضاء على المنافسة بين العراق وسوريا وخاصة في لبنان حيث تسعى سوريا الى تدعيم نفوذها هناك بمساعدة دول الخليج . وقد تقلص دور العراق في لبنان بشكل متزايد بسبب الاحداث العسكرية (انظر دواشه سنة ١٩٨١ ص ٦١ — ٦٥) .

ب — عودة مصر الى السياسة العربية

فرض العراق ، الذي استضاف القمة العربية المعادية لمصر في سنة ١٩٧٨ في بغداد ، مع دول الخليج عودة مصر الى منظمة الدول الاسلامية والجامعة العربية . ويهدف العراق من وراء ذلك تقوية العمود الفقري للعالم العربي . وقد تم على الرغم من معارضة سوريا وليبيا — رد اعتبار مصر جزئيا وتحسنت علاقات مصر مع الجزائر وتونس حتى أن أى تعاون عسكري يمكن أن يؤدي الى اعلان قيام حلف جديد ، ولعل من الدلائل والشواهد الأخرى على تطبيع دور مصر داخل العالم العربي دعم مصر للعراق وصفقات الاسلحة المصرية لدول الخليج وخاصة الى عمان والتعاون المكثف مع منظمة التحرير .

ج - الدور الجديد لتركيا في العالم العربي

تحولت تركيا الى بلد مرور (ترانزيت) هام لطرفي الحرب وصارت ثاني أهم شريك تجارى لايران بعد اليابان . وفي عام سنة ١٩٨٤ اضطر العراق الى طلب معونة الجيش التركى لقمع المعارضة الكردية في شمال العراق وأدت الحرب والمصالح الاقتصادية لتركيا والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الى ايجاد تقارب معين مع العالم العربى بعد عزلة دامت اعواما ولم يكن هذا التقارب فقط مع السعودية ودول أخرى معتدلة بل مع ليبيا أيضا . ومن غير المستبعد أن يكون هناك دور عسكري تركى في حالة تفاقم الحرب مرة أخرى . وكانت الحرب وما ترتب عليها هى انقسامات وتشرذم في العالم العربى احدى مقدمات الغزو الاسرائيلى للبنان في سنة ١٩٨٢ والتي بدونها الممكن هذا الغزو ليحدث ونتج عن ذلك ضعف منظمة التحرير الذى كان بدوره نتيجة لنقص التعاون بين الدول العربية .-

٤/٥ الدول الكبرى والحرب العراقية — الإيرانية

تعهدت الدولتان العظميان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية منذ بدء الحرب باتخاذ موقف الحياد رسميا وان كان ذلك يخالف موقفهما وأخذت الدولتان العظميان تراقبان الموقف عن كثب واستغلتا الحرب لكسب النفوذ لدى الدولتين المتحاربتين ، بل لدى المنطقة كلها ، وعدا البيانات المتعارضة لم يمارس البلدان ضغطا كافيا للتوصل الى حل سوى ضمانها لامن الخليج وسعيهما لمنع توسع رقعة الحرب على المستوى الاقليمي .

١ — الاتحاد السوفيتي

اندلعت الحرب في وقت غير مناسب للاستراتيجية الاقليمية السوفيتية التي كانت تستهدف التوصل الى مصالحة بين الحليفتين سوريا والعراق لاجهاض الخطط الامريكية في الشرق الاوسط . وعلى الرغم من الاختلافات الابدولية والازمة الافغانية حاول الاتحاد السوفيتي استغلال قضية الرهائن لبسط نفوذه في ايران (يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩١ — ٩٣) .

واتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا محايدا في المواقف السوفيتية الاولى من الحرب ، وكان يرى ان هذا الحرب لصالح الامبريالية (انظر بريجنيف لوكالة نوفوستي في ١٦/١٢/١٩٨٠) . ولكن الاتحاد السوفيتي وقف في الواقع الى جانب ايران . وخفضت صفقات الاسلحة للعراق الا ان ايران رفضت العروض السوفيتية (انظر يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩٧ — ٩٩) (وانظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٧) . ولم تلق هذه السياسة المحايدة قبولا كبيرا لا لدى ايران ولا لدى العراق .

وكان العراق يتوقع ان تنفي موسكو بالتزاماتها المنصوص عليها في معاهدة الصداقة السوفيتية العراقية في سنة ١٩٧٢ . وادانت ايران التي تعرضت لهجمات الجيش العراقي المزود بالسلحة سوفيتية الموقف المحايد ذا الوجهين .

والى جانب البيانات السوفيتية العديدة المؤكدة على الحياد والداعية للانهاء الفوري للحرب أعلن بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي في ديسمبر سنة ١٩٨٠ مبادرة سلام للشرق الاوسط احتلت حرب الخليج فيها مكانة خاصة واقترح بريجنيف على امريكا وعلمه ، باق الدول الغربية والصين واليابان وكل الدول المعنية بالالتزامات التالية :

— عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية في الخليج والجزر المجاورة وخطر استخدام اسلحة نووية في المنطقة .

-- عدم التهديد بالعنف أو استخدامه وعدم التدخل في الشؤون الداخلية
الدول المعنية .

— احترام عدم الانحياز .

— الاعتراف بحق الدول في استغلال مصادر الطبيعة .

— عدم اعاقة التجارة أو الطرق البحرية (انظر هوبل سنة ١٩٨٢
س ٤٨ وانظر يلسين سنة ١٩٨١ ص ٨٤ ف) .

وفشلت جهود الاتحاد السوفيتي للسيطرة على ايران وادت الاستفزات
ضد الحزب الشيوعي الايراني والنشاطات التجسسية والتخريبية للمخابرات
السوفيتية الى احياء توريد الاسلحة للعراق (انظر يودفات سنة ١٩٨٤
ص ١٤٢ — ١٤٤) . ولعل من بين الاسباب الهامة التي دعت الى ذلك تزايد
العلاقات التجارية العراقية مع دول غربية وفي مجال قطع السلاح —
وفي مقدمة هذه الدول فرنسا . (حتى عام ١٩٧٢ — كان العراق مجهزا بـ ٩٦٪
من عتاده الحربى بعناد سوفيتي ، ووصلت هذه النسبة الى الثلثين بعد اربعة
اعوام من بدء الحرب) ، (يانسن سنة ١٩٨٤ ص ١٠١ ، انظر كامبل سنة
١٩٨١ ص ١٣١) وعمل الهجوم الايراني المعاكس الناجح وشعار تصدير
الثورة والبدل الاسلامي لنظام الحكم العراقي على تغيير الموقف السوفيتي
من العراق حيث قوبلت السياسة الايرانية في هذا الصدد بانتقاد حاد من جانب
موسكو .

ولم يحقق الاتحاد السوفيتي نفسه الاستفادة من سياسته حتى لو كان
صحيحا تفسير بعض وسائل الاعلام الغربية لاطلاق سراح الشيوعيين
العراقيين الموالين لموسكو على أنه ثمن لصفقات السلاح (صحيفة ديلي تلجراف
في ١٧/١١/١٩٨٣ ، ٢٧/١١/١٩٨٣) وكل الذي حدث هو زيادة اعتماد
العراق على دول الخليج التي كانت تعارض عودة العراق الى معاهدة
سنة ١٩٧٢ مع موسكو .

غير أن الحرب فتحت الطريق أمام السوفيت للوصول الى الدول
الخليجية والتي لم يكن لهم دور فيها . ونعل ارسال اسلحة سوفيتية
ومستشارين عسكريين سوفيت الى الكويت احدى نتائج الحرب بل اخذت
دول الخليج على الرغم من التحفظ التاريخي ازاء الاتحاد السوفيتي تدعو
الى التعاون معه من اجل ضمان الامن بشكل عملي وايجاد توازن بين الدول
الكبرى . وقد دفع التزايد غير المتوقع في الاتصالات السوفيتية مع الدول
الخليجية عبر الكويت (يودفات ١٩٨٣ ، ص ١٣٤ ف) ببعض المراتبين
الغربيين الى الافتراض بأن الاتحاد السوفيتي يمكنه القيام بدور رجل الشرطة
الاقليمي (انظر كامبل سنة ١٩٨١ ص ١١٥) . وترى بعض التحليلات

الغربية لتساعد الدور السوفيتي في المشرق الاوسط أن موسكو تتمتع بنفسود
قوى في المناطق الهامة من الشرق الاوسط كاثيوبيا واليمن الجنوبي وأفغانستان .
أما موقفه في منطقة القلب بالشرق الاوسط والخليج فغير مستقر كمايبل سنة
(١٩٨١ ص ١١٨ — ١٢٦) .

ولعل من بين الدروس المستفادة من الحـرب العراقية الايرانية أن
الصراعات المحلية في منطقة الخليج لن تفتح الباب تلقائيا أمام الاتحاد السوفيتي
أو أي دولة أخرى — للقيام من تلقاء نفسها بدور رجل الشرطة في المنطقة
(انظر كمايبل سنة ١٩٨١ ص ١٣٢) .

(ب) الولايات المتحدة الامريكية

على الرغم من أن العلاقات ائدبلوماسية كانت مقطوعة مع أمريكا الا أنه
حدث تقارب في الفترة من سنة ١٩٧٥ الى سنة ١٩٨٠ بين العراق والدول
الغربية ودول الخليج المتحالفة مع الولايات المتحدة الامريكية (انظر مجلة
وورلد ماركست ريفيو ، رقم ٨ عدد أغسطس سنة ١٩٧٦) والنظرية والدعاية
الايرانياتن تصران على أن العراق بدأ الحرب بتكليف من الولايات المتحدة
الامريكية ومما لا شك فيه أن وجود نشاط موجه ضد إيران كان أمرا لا يهم
أمريكا (انظر هيرو عام ١٩٨٤ ص ٧) لان العلاقات الايرانية الامريكية كانت
عند بداية الحرب أكثر من سيئة بسبب قضية الرهائن . وكان العراق يضع
نصب عينيه على وجه الخصوص مصالحه ومصالح دول الخليج .

أما ضعف إيران مع المصالح الامريكية فهي قضية أخرى حقيقي أن
الولايات المتحدة كانت تسعى الى تغيير النظام الايراني الحاكم ولكنها كانت
تتجنب في نفس الوقت عدم الاستقرار الذي كان من الممكن أن يؤدي الى انهيار
أو تقسيم إيران (انظر هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٧ ، وانظر رايت سنة ١٩٨٣
ص ١٨٥ — ١٨٧) حيث كانت أمريكا لا تضع نصب عينيه فقط خلفها مع
الاتحاد السوفيتي ، فالعاهدة السوفيتية الايرانية الموقعة في عام ١٩٢١ والتي
أغتها إيران من جانب واحد كانت وما تزال سارية المفعول بالنسبة للاتحاد
السوفيتي وهي تسمح للاتحاد السوفيتي بوضع قوات سوفيتية على الاراضي
ايرانية في حالة تواجد قوات اجنبية في إيران .

وكان الموقف الرسمي « المحايد » لأمريكا في أكتوبر سنة ١٩٨٠ كما يلي :

نعتقد بأنه من الممكن ، بل من الواجب عدم حل هذا الصراع بالقوة
المسلحة بل بالوسائل العملية . ودعونا نلجأ الى مبدأ آخر ضروري لاتخاذ
قرار سلمى لحل هذا الصراع . انه مبدأ عدم التدخل في شئون الآخرين
(ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ٩١) .

واستغلت أمريكا حرج الموقف العراقي في الحرب لتطبيع علاقاتها معه
فكتشفت العلاقات التجارية ثم استؤنفت العلاقات الدبلوماسية في سنة ١٩٨٥
ولعل الأهم من ذلك هو زيادة التعاون العراقي مع دول المنطقة الحليفة لأمريكا
(مصر ودول الخليج) وموقف بغداد المعتدل في الصراع العربي الإسرائيلي .
ويمكن اعتبار صفقات الأسلحة من جانب بعض حلفاء أمريكا لايران (مثل
إسرائيل وباكستان وكوريا الجنوبية . . . الخ) على أنه تعبير عن مساع
أمريكية لتأمين الكيان الإيراني . وعموما كانت أمريكا تتخذ في حرب الخليج -
وخاصة الحرب الهجومية الإيرانية تتخذ موقفا واضحا معاديا لايران .

ففي عهد كارتر قدمت أمريكا للسعودية طائرات الأواكس المتقدمة
وأننى كنت تقوم بإمداد العراق بالمعلومات وفي عام ١٩٨٤/٨٣ شكلت الولايات
المتحدة قمة اندخل السريع أى غزو الخليج (ستارك) ونجر سنة ١٩٨٤
س ٤٤ - ٤٦) وعبر وزير الخارجية الأمريكى عن الموقف المحايد لبلاده
بقوله : « ان الحياد على أية حال لا يعنى ألا نكتريث بالنتائج . ولدينا اصدتاء
ومصالح تتعرض للخطر نتيجة لاستمرار الاعتداءات . ونحن ملتزمون بالدفاع
عن مصالحنا الحيوية في المنطقة . وهذه المصالح ومصالح العالم تحترمها
السيادة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل الدول في منطقة الخليج .

وتعد حرب الناقلات واستهديد الأيرانى باغلاق مضيق هرمز وماتلا ذلك
من تهديد أمريكى بالتدخل العسكرى شروطا موضوعية لمثل هذا التدخل .
ولكن كان هناك شك من الوجة العسكرية في مدى فعالية مثل هذه العمليات
خاصة أن فشل القوات الأمريكية في لبنان وفشل الوحدات الأمريكية التى
أرسلت الى ايران لتحرير الرهائن كفت له نتائج معنوية ضخمة وربما كان
هذا الفشل مثلا تحذيرا غير أن القيام بعمل عسكرى ضد ايران أصبح أمرا
غير محدود . وكان موقف مجلس التعاون الخليجى الذى أدان مثل هذه
الخطوة بوصفها تصعيدا مباشرا للحرب في المنطقة عاملا حاسما (انظر ستارك /
نجر سنة ١٩٨٤ ص ٤٧ ف) .

واستطاعت الولايات المتحدة ، شأنها شأن الاتحاد السوفيتى تدعيم
موقفها في الشرق الاوسط أثناء الحرب (رايت سنة ١٩٨٢ ص ١٨٨) ، لقد
جرت العادة على أن تضمن الصراعات الإقليمية - للدول الكبرى مناطق للنفوذ ،
غير أن سياسة الدول الكبرى في هذه المنطقة المعقدة أصبحت عاملا فقد أهميته
مع مرور الوقت : فالدول الكبرى لم تعد ترغب في التورط في الصراعات
الإقليمية ولا هى تستطيع تحديد مسارها الا بقدر ضئيل .

٥/٥ النتائج بالنسبة للعلاقات مع دول أخرى

اتخذت أوروبا الغربية واليابان موقفا محايدا منذ اندلاع الحرب واعربت عن رغبتها في نهاية سريعة للحرب . وكانت هذه الدول تكسب من هذه الطفرة التي تحققت من علاقاتها التجارية مع طرفى الحرب واتخذت بقية دول غرب اوربا باستثناء فرنسا التي كانت لها علاقة خاصة بالعراق بفضل صفقات الاسلحة موقفا محايدا . وتكثفت علاقات ايران التجارية مع بريطانيا وايطاليا والمانيا الاتحادية وبعد المشاركة الجزئية فى العقوبات التي فرضتها امريكا أثناء قضية الرهائن والابقاء على السوق الايرانية مفتوحة سعت فرنسا لتطبيع علاقاتها مع ايران (انظر صفح ٣ فى رقم ١٢٠ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، اف ٢٨) . وكانت تجارة الأسلحة غير الرسمية على جانب كبير من الأهمية حيث كانت ايران والعراق تنفق أكثر من ثلث ميزانيتها العامة على التسليح (انظر صفح ١٢٨ فى رقم ١٢٨ سبتمبر سنة ١٩٨٥ ص ٣ - ٥) ودخلت عدة دول اوربية بشكل مكثف فى هذا المجال حتى ولو تعارض ذلك مع القانون فصدرت المانيا الاتحادية أسلحة الى العراق وأبرمت فى نفس الوقت صفقات غير قانونية مع ايران واستغلت تورطها المتزايد لاستكمال التعاون الالماني المصرى فى مجال التسليح (انظر أوراق ١٢٠ فى ٣ فى ٨١ ف) وقامت النمسا بتصدير مدفعية ثقيلة من نوع الهاوتزر عبر الأردن بشكل غير رسمى (الكتاب السنوى سيبرى سنة ١٩٨٤) .

وتزايد اعتماد كلا البلدين المتحاربين على غربى أوروبا واليابان ، فقد قاموا بدور هام فى إعادة بناء الانظمة الاقتصادية التي حاق بها التدمير . وهكذا اتاحت الحرب فرصة لقاعدة من الارتباطات الجديدة فى زمن السلم واستفادت دول أخرى مثل البرازيل . وكوريا الشمالية والصين بشكل مباشر او غير مباشر من تجارة السلاح (انظر الجدول فى ملحق بأخر الكتاب) ولذلك كان الاعتماد الكلى لطرفى الحرب على أمريكا والاتحاد السوفيتى نسبيا ومحددا كما تورطت اسرائيل فى تجارة الاسلحة مع ايران (فرانكفورتر الجمانية فى ١٧/٣/٨٧) وأخضع الموقف الاسرائيلى الشرعية على نفسه بهوافقة الولايات المتحدة على ذلك (هيرو سنة ١٨٨٤ ص ٧) وان كانت المصالح الاقليمية هى التي كان لها الدور الحاسم فى هذا الموضوع (فايتمهان ومثالته مع مجلة نيوزويك فى ١٥/١٢/١٩٨٠) . وهكذا شلت الحرب قوى وطاقت بلدين هامين من بلاد العالم الاسلامى والعربى لم يعودا - رغم كل الشعارات - قادرين على خوض حرب ضد اسرائيل . ولذا كانت مصلحة اسرائيل فى استمرار حرب الخليج وليس فى انهيار اى من البلدين ولا يمكن اعتبار السياسة الاسرائيلية بمثابة بيان تعاطف مع أحد طرفى الحرب اللذين يعتبران أساسا من أعداء اسرائيل ، بل يمكن اعتبارها جزءا من المفهوم الامنى الاسرائيلى الشامل طويل المدى . وفى اطار هذه الاستراتيجية ويمكن تفسير صفقات الأسلحة وكذلك تصف المركز النووى العراقى .

٦ - الحرب والتركيب (النسيفسائى) : - هل هي

قضية تفكك أو اعادة بناء ؟

بالنسبة للبعد العراقى والدينى للحرب

هناك ارتباط وثيق بين الابعاد الثنائية والاقليمية والدولية للصراع وبين التركيب النسيفسائى للمنطقة . وكلتا الدولتين تضمان جماعت عرقية دينية ومذهبية لم تندمج تمها في الدولة الحديثة . وتبدو المتناقضات الناتجة عن هذه الترخبة المعقدة أكثر وضوحا في الصراعات الثنائية وتدويلها . وأصبحت بذلك أكثر تأثيرا . وتسربت المتناقضات الداخلية في كل من العراق وايران الى قيادة الحرب وتخطيطها حتى وان لم تتفق التقديرات الرسمية في أغلب الاحوال مع المسلمات . وسنحاول فيها يلى مناقشة هذه الاشكالية بشكل علم ، وفي النهاية سنقدم ظواهر مطابقة في كل من العراق وايران .

٦ - ١ الاشكالية

يبدو ان الدول التى نشأت بعد الحرب العالمية الاولى في الشرق الاوسط قد حظيت في وعينا بأهمية كبرى أكبر مما تستحق في الواقع . فالدول الحديثة التى نشأت على غرار النموذج الغربى في الشرق لا تتفق مع التطور العرقى والحدابيع الدينى أو القومى ، فالعراق وايران دول متعددة القوميات والمذاهب ولا يعتبر تركيبها السياسى متعددا أو ديمقراطيا وتضعف المتناقضات الاستمرار الداخلى للبلاد ، كما أنها تمثل مشكلة اضافية في حالة أى صراع اقليمى مع الدول الجاورة (مثل مساندة الاكراد في دولة أخرى) كما يعتبر يعتبر الاسلام ظاهرة اساسية . لا تعترف ، بالصدود الحالية ويتناقض مع التركيب الحالى للدول التى لم تستقر بعد .

لقد قام نظام الدولة الاسلامية ، الذى كانت تمثله الامبراطورية العثمانية باوسع معانى الكلمة ، على فكرة الامة الاسلامية . ونظمت العلاقات المتناقضة للاقليات الدينية والعرقية داخل هذه الامة من خلال النظام المالى وقدر كبير من الحكم الذاتى نسبيا للمناطق التابعة لها . ولكن التوجهات المركزية للامبراطورية العثمانية في النصف الثانى من القرن التاسع عشر والرغبة في اقامة دولة قومية على النموذج العربى أدت الى تفاقم مشكلتى الاقليات والقومية في المرحلة الاخيرة من الامبراطورية العثمانية (قارن شيفلر ص ٤٩ ن) .

ولم تؤسس الدول التى قامت بعد الحرب العالمية الاولى نظامها على ، فكرة الامة الاسلامية ، ولذا لم يكن هناك ذلك النظام القائم على أساس الوحدة الدينية او العرقية او المذهبية . وانقسمت الامة العربية الى أكثر من عشرين دولة حديثة

وانشطر الشعب الكردي الى خمس دول . وما يزال يقيم في انعرق وايران ، حيث يعيش العرب جنبا الى جنب مع الاكراد وعدد من الاقليات الاخرى . ويعيش البلوش في ايران وافغانستان وايضا في باكستان كما يعيش الازربيجانيون والتركمانيون في ايران والاتحاد السوفيتي . ويستقر الارمن واقليات مسيحية اخرى في هاتين الدولتين .

وخلقت الدولة الحديثة انتماءات جديدة صناعية ، فالشعب الايراني او الامة الايرانية مصطلحات لا يصل عمرها الى ستين عاما . والواقع أن مشاعر الانتماء قد تمت لدى الشعوب بعد مرور ستين عاما على وجود هذه الدول ولكن لم تمنح السمات العرقية والدينية التقليدية .

ولم يكن النفوذ الثقافي القوي لاوربا يعنى اغترابا وتزويرا لوعى الشعوب الشرقية فقط بل أدت المفاهيم السياسية المرتبطة به (كالشعب والامة) الى نشر البلبلة وعدم الوضوح ، فالدستور العراقي ينص مثلا على أن الشعب انعراقى يتكون من قوميتين (مادة ٣) وفي فقرة اخرى (مادة ٢) توجد الجملة التالية :- العراق جزء من الامة العربية . وهذا التعارض والتناقض ليس فقط مشكلة دلالة بل يثير البلبلة في الوعى السياسى (انظر فائلى سنة ١٩٨٤ ص ٢٨١ ، انظر ابراهيم عام ١٩٨٢ ص ٢٨٢ ف) .

ويتعارض المفهوم السياسى للقومية الكردية ، الرامية الى توحيد الشعب الكردي فى دولة كردية قومية ، مع الانتماء للشعب العراقي . ويمكن تقييم قضية التوحيد من منظور اخر على أنها انفصال عن وخروج على الوطن العراقي والدولة العراقية ايضا .

وصف الملك فيصل الاول اول ملك هاشمى حكم العراق الحديث هذه الاشكالية فى مذكرة كتبها سنة ١٩٣٢ بقوله :-

« لا يوجد فى العراق - وهذا ما أقوله وقلبي مفحم بالاسى - عراقيين بل أعداد لا يمكن تخيلها من البشر مجردة من اية فكرة وطنية ومشرية بالتقاليد الدينية والافكار السخيفة ولا يربط بينها أى رابطة مشتركة وتصفى الى الشر وتميل الى الفوضى ومستعدة دائما للثورة على أى حكومة ومهما كانت ونريد أن نتقى شعبا من هذه الأعداد يمكننا تدريبه وتعليمه وتهذيبه وفى حدود الظروف الراهنة يمكننا تخيل مدى ضخامة الجهود المطلوبة لانجاز ذلك » .

وفى الخمسين عاما التى تلت هذه الكلمات جرت محاولة لتحويل هذه التكمينات الى واقع :- توطين اجبارى لقبائل البدو الرحل واضطهاد الشعب الكردي واجباره على الاندماج ومع ذلك تميزت هذه الحقبة بالاصلاحات وأكثت الصراعات أن هذه القضية لم تنته بعد . ولا يجب أن تسير فى نفس هذا

الاتجاه وثمة مشكلة أخرى للدول الحديثة تكمن في مواجهتها مع اتجاهات أقلية وغير اقليمية قوية مثلما ظهر في القومية العربية والاسلام والقومية العربية التي تسعى الى توحيد كل العرب في دولة قومية واحدة لا تتفق مع الحدود القائمة حاليا بين الدول المختلفة كما تشكل الحركة الوطنية الكردية - بهدفها البعيد اقامة دولة كردستان الموحدة - تهديدا للكيانات غير المتجانسة في أربع دول .

وترفض الصحوة الاسلامية ، التي لا يجب النظر اليها على انها عودة الى الدين فقط بل ايضا ظاهرة سياسية قوية ، بسبب تناقضها الثقافي مع الغرب ترفض هذه الصحوة الحدود القائمة حاليا وتسعى للعودة الى اقامة أمة اسلامية عالمية كبديل عن الدول الموجودة حاليا وعلى الرغم من تعارض الاتجاهات الاسلامية مع القوميات الكردية والعربية نجد أن كليهما يسير في نفس الاتجاه أي نحو عملية التفتت .

وثمة ظاهرة اشكالية تخص تركيبة الدول الحديثة وتتمثل في الاتجاهات المركزية وما يرتبط بذلك من القضاء على كافة اشكال والاستقلال او الادارة الذاتية ويمثل هذا التناقض بين الاستقلال الذاتي والمركزية واحدا من الجوانب الجوهرية للنناقض بين المركز والهوامش فالقبائل والاقليات الوطنية والدينية والعشائرية والوحدات الاخرى تدافع عن استقلالها الذاتي نسبيا ازاء الدولة الحديثة التي غالبا ما تكون ظاهرة غريبة تجثم على صدر المجتمع .

ومن خلال الصراعات على السلطة تدافع هذه الجماعات عن استقلالها الذاتي بحماس ضد محاولات الاختراق من جانب جهاز الدولة الذي يحاول استخدامهم كحكام أو متحالفين في صراعاتهم . وعلى الجانب الآخر تنهج الدولة استراتيجية التفرقة الاجتماعية مثل التقسيم الواعي لجماعات الشعب الى روابط محلية ودينية أو مهنية مستقلة اداريا وتعتبر وحدة مجمعة لاعضائها المتفرقين وتقوم بتبسيط الادارة وتهيء وتسهل سياسة « فرق تسد » . كما تستخدم مناطق سكنية عرقية ودينية منفصلة لحماية المصالح الذاتية لسكانها . وتؤدي في نفس الوقت لتقليص الاتصالات اليومية بين مختلف جماعات الشعب الى أدنى حد وبحيث تجنب جهاز الادارة كثيرا من الصراعات التي يصعب السيطرة عليها (جرينسهيلد سنة ١٩٨٠) .

وكانت نتيجة ممارسة سياسة التفرقة « النحتية » والفوقية تركيبا فيسفاثيا اجتماعيا مكونا من مجموعات محلية ودينية وعرقية (كون سنة ١٩٥١) وصفه البرتخورازو (١٩٤٧ ص ٢٢) كتعايش مشكوك فيه بين عالم اجتماعية ثقافية مكتفية ذاتيا متلامسة ولكنها غير متداخلة (شيلفر سنة ١٩٨٥ ص ٤٩) .

٦ / ٢ العلاقة بين المركز والهامش في إيران

تحت مفهوم مركز لا نفهم فقط العاصمة كمنطقة التقاء للدينامية السياسية والثقافية والاقتصادية بل المنطقة التي يوجد بها أكبر مركز للشبيعة المتحدثين بالفارسية وتتميز المناطق التابعة لها بما يلي :

— تعيش كل الاقليات الوطنية تقريبا في هذه المناطق .

— هي مناطق يوجد بها أقلية سنية .

— هي مناطق حدود حساسة استراتيجيا .

— يضم سكان هذه المناطق في أغلب الاحوال جزءا من الاقليات الموزعة على عدة دول (الاتحاد السوفيتي والعراق وأفغانستان وباكستان) وتعتبر شعوب هذه المنطقة خط الحدود الذي قسم الاقليات نتاجا لظروف سياسية وموازين القوى تعتبر هذه الشعوب ظاهرة مصطنعة .

وتعرضت الامبراطورية الفارسية لضغط خارجي مكثف في القرن السدي سبق اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وتميز بالتنافس الروسي البريطاني . وكان نظام الحكم ضعيفا ومركزيا . وضمن ذلك للمناطق الهامشية التمتع باستقلال ذاتي نسبي ومع ارتقاء أسرة بهلوى للعرش في ايران في العشرينات من هذا القرن قامت المركزية التي ضمت فيها بعد مناطق الحكم في خوزستان وكردستان التي كانت مستقلة نسبيا . وراح ضحية لعملية التوطين الاجبارية لقبائل البدو الرحل في كردستان الايرانية وحدها — راح الآلاف الضحايا في فترة ما بين الحربين العالميتين (انظر لامبتون سنة ١٩٥٣ ص ٣٣٦) انظر قاسماو سنة ١٩٧٠ ص ١٥١ ف) .

وأدت سياسة التوطين فضلا عن ذلك الى حدوث تغييرات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي فتحطمت الحياة الجماعية للنظام القبلي القديم وحل محلها نظام الدولة الحديثة . وعلى مستوى آخر قضى على تعدد الشخصية الشعبية في ايران وحاولت الدولة فرض الانتماء لقومية ايرانية جديدة مصطنعة .

وثمة بعد آخر لهذا التكوين الفيسفائي وهو العلاقة بين الداخل والخارج ومما برز في التحليل الوارد بعاليه حول المناطق الهامشية نجد أن هذه المناطق تشكل أرضية صالحة للضغط السياسي وللغزو العسكري من الخارج ايضا . فقد مارست الدول العظمى — وفي مقدمتها روسيا — الاتحاد السوفيتي فيما بعد — نفوذا وضغطا سياسيا على المركز عبر هذه المناطق

الهامشية وتعتبر العلاقة بين المناطق الهامشية وأى دول خارجية تعتبر في نظر السلطة المركزية مؤامرة أو خيانة أو تدخل في الشؤون الداخلية من دون اجنبية كما تعد هذه العلاقة أيضا ذات طبيعة معقدة وتوجد بعض الاقليات والمناطق الهامشية المضطهدة التي تندمج في الدولة الحديثة بشكل كامل والتي لا تتمتع بعلاقة ديمقراطية مع السلطة المركزية ولا تستطيع كاتلية المطالبة بذلك كما ان مصالحها تكمن في التعاون التكنيكي مع دول مجاورة . وتعتبر هذه العلاقة علامة مميزة للصراعات السياسية الهامة في التاريخ الحديث لايران : الثورات في خوزستان ، وجيلان واذريجان ١٩٢٠ / ١٩٢١ والثورات في اذريجان وكردستان ١٩٤٥ / ١٩٤٦ والتي انشأت جمهوريات محلية بمساعدة الاتحاد السوفيتي . وعند دراسة العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية في مثال ايران يجب مراعاة الاسس التالية :

(أ) لا تتمتع مفاهيم مثل الاغلبية والاقلية عند النظر الى الجماعات العراقية في ايران الا بأهمية ضئيلة حيث أن الفرس كأكبر جماعة بين الشعب الايراني لا يشكلون الاغلبية المطلقة . ويمكن أن يؤدي ذلك الى مواجهة بين الفرس واغلبية الجماعات العرقية وأدت الصراعات التي حدثت بعد الثورة الاسلامية الناجحة في بداية عهد الجمهورية الاسلامية بين الحكومة وبين العرب والاكراد والتركمانيين المناضلين من أجل الاستقلال وتوسيع نطاق حق تقرير المصير الثقافي - أدت هذه الصراعات الى مثل هذا الوضع (انظر كدى سنة ١٩٨٣ ص ٨٧ - ٨٩) .

تطبيقا لنظرية أحكام الجدد ولما كانت الجمهورية الجديدة ترتكز على الاسلام كانت مساعي الاستقلال الذاتى تعتبر في نظرهم اتجاهات غريبة مدعومة من الخارج ، ولكن يخفى خلف هذه النظرية الاسلامية عنصر التعصب العنصرى الفارسى وباستثناء الثلاثة الأشهر الاولى من الجمهورية الاسلامية ، التي تولى فيها كردى يدعى « سنجابى » منصب وزير الخارجية ، فلم تتضمن الحكومات التالية أى عضو من أصل كردى أو عربى أو بلوشى أو تركمانى .

(ب) بالنسبة للعلاقة بين المناطق الهامشية والمركز لم تلعب فقط مشكلة الاقلية وحدها دورا بارزا ، بل أيضا قضية الانتماء المذهبى . فالاذريجانيون يشكلون أكبر تومية عرقية بعد الفرس ويتمتعون بوضع مميز كشيعة في مواجهة الجماعات العرقية الأخرى . ويشغلون مناصب هامة في الاقتصاد الايراني والجيش وبعض المؤسسات المدنية . وكما كان الانتماء العرقى يشكل عاملا للتناقض بين المركز والمناطق الهامشية وجد الانتماء العرقى نفسه في مواجهة مع قوة جاذبية المركز . فقد اهتمت كل المطبوعات تقريبا ، وخاصة تلك التي صدرت في الغرب - بالبعد العرقى فقط فى العلاقة بين

المركز والمناطق الهامشية في الحرب العراقية الايرانية واغفلت أهمية الانتماء المذهبي(١)وبعد الثورة الاسلامية لم يسع الأذربيجانيون للحصول على الاستقلال الذاتى ولم يقوموا بأى عمل مناوئء للسلطة المركزية . ويمكن أن يعزى هذا الموتف من جانب اكبر اقلية عرقية — كانت تمثل فى الماضى خطرا داهما على الحكام الايرانيين لأن جزءاً من هذا الشعب يعيش فى الاتحاد السوفيتى — الى العامل المذهبى .

ويمكن أن يفسر التداخل بين الانتماء لعرق والمذهب ، الى حد ما ، موقف الاقلية العربية فى خوزستان والانتماء الثقافى والعرقى للعرب المقيمين فى خوزستان ادى الى تزايد تضخيم ابتعادهم عن المركز ، من ناحية وأدى من ناحية أخرى الى حقيقة مفادها أنهم بوصفهم شيعة قلبا وقالباً لا بد أن يحتفظوا بقدر من الولاء للسلطة المركزية . ولذلك توقفت مقاومة العرب فى خوزستان عند حدود معينة . وتجلت اقوى التناقضات بين المركز والمناطق الهامشية فى تلك المناطق التى تلعب فيها عوامل الانتماء العرقى والمذهبى دورا .

(ج) يتخذ التطور الاقتصادى الاجتماعى وجها آخر فى العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية منذ ادى التطور الاقتصادى والاجتماعى الى انفجار سكاني فى المدن بسبب الهجرة الواسعة من الريف والى تحول المدن الى مركز للحياة الاقتصادية والثقافية . بينما انخفضت أهمية القطاع الزراعى وسكان الريف بسرعة وكان ٤٪ من اجمالى المشروعات الصناعية يوجد فى كردستان فى عام ١٩٥٨ بينما يشكل الاكراد ١٧٪ من جملة سكان ايران وكان ١٥٪ من الايرانيين حضريين (روث سنة ١٩٧٨ ص ١٠٦ — ١١٠) انظر قاسمى سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) . وفى عام ١٩٥٨ أنتجت كردستان الايرانية ٢٠٪ من اجمالى الانتاج الزراعى الايرانى (قاسمى سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) .

ولكن التطوير الاجبارى والاصلاح الزراعى الفاشل حولا كردستان الى مستورد للمنتجات الزراعية والى مرتبط ببيروقراطية الدولة التى تعتمد على ايرادات البترول .

وفى خلال عشرين سنة جرت عمليه شارك فى بدايتها قبل خمسة وعشرين عاما غالبية سكان الريف وشارك فى نهايتها غالبية سكان المدن فقد اتضح من مراقبة هذا التحول الاقتصادى والاجتماعى الهام تزايد قوة جاذبية المركز بمعنى اعتماد المناطق الهامشية على المركز ورافق ذلك — انحسار مقاومه المناطق الهامشية وامكانياتها للحصول على الاستقلال .

(١) من أهم الدراسات فى اطار النواحي الدينية والمذهبية هناك كتاب اقبال الصادر فى سنة ١٩٨٥ وكتاب شيفلر الصادر فى سنة ١٩٨٥ .

(د) بمراعاة العوامل الواردة بعاليه يمكننا الوصول الى محصلة مفادها عدم حدوث عملية تفكك وغير متوقع حدوثها في المستقبل القريب على الرغم من استمرار اهمال المناطق الهامشية على الرغم من وجود تناقضات بين المركز والمناطق الهامشية بالرغم من مطالب الاستقلال الذاتي . ولم تؤد الحرب العراقية الايرانية — وحتى في فترة الفزو العراقي الى حدوث مثل هذه العملية .

ولكن يمكن أن يؤدي ضغط المناطق الهامشية الى حدوث تفكك عن طريق دعم خارجي مكثف وبخاصة من جانب الاتحاد السوفيتي . وتعطى استراتيجيه الجمهوريه الاسلاميه أولويه كبرى لاقامة مركز قوى وهي على وعى كامل بمدى سهوله اختراق المناطق الهامشية التي يحدها الاتحاد السوفيتي في الشمال ومناطق النفوذ الامريكى في الجنوب ولا يوجد في هذا المخطط سوى الاختيارين انفجار الثورة الاسلاميه أو فقدان السلطه في المركز الذي يتعرض لضغط خارجي قوى . وقد صاغت جريدة الحزب الجمهورى الاسلامى الحاكم هذه الاشكاليه على النحو التالى :

— تحتاج ايديولوجية الثورة الاسلاميه الى التوسع في دول أخرى .

— ان سكان العالم المضطهدين بحاجة الى ثورة اسلاميه كفكرة تجريبية كما أن ايران بحاجة الى تصدير ثورتها الاسلاميه والا أجبرتها ضغوط أجنبية على التحول للداخل والارتداء تدريجيا الى قومية . (ايوبى / قدى سنة ١٩٨٣ ص ١٤٨) .

— ان التكهنات حول تأثير الجمهوريه الاسلاميه على الجمهوريات الاسلاميه بالاتحاد السوفيتي التي كانت فيما مضى أجزاء تاريخية من التراث الفارسى لدعم السوفيت لمطالب الاستقلال الذاتى للاقليات القومية في ايران (اقامة جمهوريه المستشارين بجيلان في عام ١٩٢٠ انشاء الجمهوريه الكرديه والجمهوريه الاذربيجانية بمساندة الجيش الاحمر في عام ١٩٤٥ وكذلك لتأييد الأخير لمطلب الاستقلال الذاتى للكراد في عام ١٩٨٠/٧٩ ان كل ذلك هو سمة العلاقات الايرانية السوفيتية التي تتميز بمحاولات فرض النفوذ وبأهمية كل دولة للاخري . (انظر قدى سنة ١٩٨٣ ص ١٠٦ ، ٩٩ ف) .

٣/٦ الشيعة والاكرد في العراق الحديث

كان يعيش في دولة العراق الحديثة التي تأسست في أوائل العشرينات
عديد من الجماعات العرقية والدينية والمذهبية وكان الاكرد يشكلون ١٥ / من
اجمالي عدد السكان والمسيحيون ٣٪ والاثراك ٢٪ والفرس وأقليات أخرى
٣٪ وإذا كان السكان العرب يشكلون ٧٩٪ من الشعب فان ثقل هذه الأغلبية
يصبح نسبيا في اطار الانتماء المذهبي ، فالسنيون العرب يشكلون ٢٨٪ فقط من
اجمالي عدد السكان ، وتصل نسبة الشيعة الى ٤٥٪ (مصلحة الاحصاء العراقي
سنة ١٩٨٢) . وهناك احصائيات غير رسمية تصحح هذه البيانات الرسمية
وتشير أغلب المصادر الى أن نسبة الاكرد الى اجمالي سكان العراق تبلغ ٢٦٪
(انظر النشرات عدد ١٢١ نوفمبر سنة ١٩٨٤ ص ٢٣) .

وقد اكتسبت هذا التضامن المعقد للجماعات العرقية والدينية والمذهبية
اهميتها من خلال الهيكل المركزي غير الديمقراطي الصارم للدولة العراقية التي
يتولى العرب السنيون الحكم فيها . وسنحاول فيما يلي تحليل علاقة
جماعتي الشيعة والاكرد ، بهرکز السلطة السياسية وذلك نظرا لأهميتهما
بالنسبة للصراع بين ايران والعراق .

(١) الاكرد

تكونت في إقليم كردستان العراقي حاليا مملكة كردية مستقلة ذاتيا بعد
الحرب العالمية الاولى في عهد الانتداب البريطاني . ولم تتحقق مساعي الساسة
الاكرد لاقامة الدولة الكردية المستقلة التي تم النص عليها في معاهدة سيفرز
» سنة ١٩٢٠ . ثم أطاح الجيش البريطاني في سنة ١٩٢٤ بالمملكة الكردية
الصغيرة التي كان يحكمها الشيخ محمود . وعهد الى عصبة الامم تقرير مستقبل
جنوبي كردستان (كردستان العراقية حاليا) (١) .

وعلى الرغم من مقاطعة غالبية الاكرد في هذه المنطقة للاستفتاء الذي
نظمته عصبة الأمم أو اتخاذهم موقف سلبياً منه ضمت هذه المنطقة للعراق
في سنة ١٩٢٥ (قاسمלו سنة ١٩٧٠ ص ٨٠ - ٨٩) . ووعدت العراق
وبريطانيا - التي كانت الدولة المنتدبة حتى سنة ١٩٣٢ - بمنح الاكرد حقوقا
ثقافية وحكما ذاتيا اداريا . وتعود جذور الخلافات الأخيرة بين الاكرد والسلطة

(٢) انظر عصبة الامم ، مسألة المواجهة بين تركيا والعراق ، جنيف

١٩٢٥ ص ٤١ - ٤٦

المركزية في العراق الى هذه القرينة التاريخية على الرغم من أن وضع الاكراد في العراق أفضل نسبيا عن مثيله في الدول الاخرى .

ويتميز التاريخ الحديث للعراق بمقاومة الاكراد ومساعدتهم لحق تقدير المصير الثقافي والاستقلال الذاتي وكذلك المطالبة بالمشاركة في السلطة السياسية وبعد الثورة العراقية في سنة ١٩٥٨ ظهرت حركة المقاومة الكردية في الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٥ وتم حصول الاكراد على حقوق ثقافية معينة وكذلك مشاركتهم في انسياسة . وسجلت المفاوضات التي جرت بين قادة حركات المقاومة الكردية والحكومة في اعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ ، و ١٩٧٠ وكذلك البيانات الحكومية الرسمية الاضرار التي لحقت بالمناطق الكردية على المستويين الثقافي والسياسي وبالنسبة لبرنامج الانماء الاقتصادي .

وتحولت الحركة الكردية الوطنية في خلال ربع القرن الماضي الى عامل سياسي هام يستطيع الضغط على الحكومة المركزية وتؤكد من احداث تغييرات في مركز السلطة وتغيير السلطة واعادة تشكيل الحكومة أكثر من مرة وليس الاكراد في وضع يؤهلهم للاستيلاء على السلطة في الدولة ونظرا لدورهم كأقلية عرقية — تستوطن الطرف الشمالي من الدولة . وعموما يعد الاكراد عاملا يمكن أن يضغط على المركز ويهز استقرار البلاد . وتعتبر هذه الاشكالية مؤثرة على العلاقات الاقليمية والدولية للحركة الوطنية الكردية . ولم يحصل الاكراد على مساعدة الدول المجاورة والدول الكبرى فقط بسبب مطالبهم السياسية الواقعية بل بسبب الرغبة في اهتزاز العراق ونظام حكمه بهدف الاطاحة أو على الأقل تغيير اتجاه الحكومة المركزية . وأبلغ مثال على ذلك هو دعم ايران والسياسة الامريكية والسوفيتية للاكراد .

هذا ، ويمكن للحركة الوطنية الكردية ، وهي التيار الرئيسي بين الشعب الكردي وقد سيطرت عدة مرات خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة على مناطق يقطنها حوالي مليون شخص وكان لديها جيش يزيد عدد أفرادها على مائة ألف — يمكن لهذه الحركة الوطنية الكردية أن تنفصل عن الصراع بين المركز والمناطق الهامشية وسط ظروف اقليمية ودولية محددة لتلعب دورا اقليميا هاما . وساعد ظهور قوى محلية في المنطقة والصراعات العرقية والمذهبية بما لها من بعد دولي ، على تكون عامل قوة ساسية جديدة مثل الدروز في لبنان ومن الممكن تكرار مثل هذه العمليات في حالة تصعيد الصراع مع ايران .

وتتنمى الحركة الوطنية الكردية المسلحة في أغلب الاحوال وتسيطر وبشكل خاص في العراق وايران على مناطق تطالب باحتيتها فيها باعتبارها مناطق محررة — تنتمى الحركة الوطنية الكردية الى أهم الظواهر الجديدة في هذا البناء — الفسيفسائي — لتركيبة القوى السياسية بالمنطقة لأنها تشكل مركز قوة ، وتحكم مناطق صغيرة وتلعب عن طريقها دورا في العلاقات والصراعات الاقليمية . وتدخل

هذه الحركة في تحالفات مع قوى اقليلية ودولية وتحصل بذلك على ما يشبه كيان
اندولة وكانت الانتفاضة الكردية بزعامة البرزاني في عام ١٩٧٤ ، وبالنسبة
لمناطق الحرة وعدد القوات المسلحة — أكبر من انتفاضة جمهورية مهابد التي
كان يساندها الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤٦ . ولكن حالت ظروف دولية غير
مناسبة دون انشاء كيان دولتهم .

ويلعب اكراد العراق وايران في حرب الخليج دورا ليس بالقليل ولم تنجح
كل من العراق وايران الا بشكل ضئيل في جذب الاقلية الكردية في البلد الآخر الى
استراتيجيتها ، ويعود المسبب الرئيسي في ذلك الى ان الاتجاه الريفي يميل الى
الشخصية القومية وفي ايران لم تؤد الافكار الاسلامية للجمهورية الجديدة عن
القومية الى حل مشكلة الاقليات . كما أن الثورة الاسلامية لا تشكل بديلا سياسيا
للكراد المقيمين في العراق . ولذا نم يحدث أو حدث بشكل فردي — تعاون بين
الانتظمات الكردية المعادية والانظمة الحاكمة في العراق وايران .

وشكلت الحركة الوطنية الكردية مركز قوة مستقلا عن نفوذ الانظمة تزايدت
أهميته مع تنامي عدم الاستقرار . ولن يحدث تغير كما في الوضع بتصعيد
ان الصراع الاقليمي او بمعنى آخر بتدخل الدول العظمى . ويرى خبير استراتيجي
حدوث مثل هذا التطور في ضوء سياسة دولة كبرى كالاتحاد السوفيتي في الشرقيين
الأدنى والاوسط ، ويمكن القول بأن ما قاله يرتكز على رؤية مؤيدة للغرب
بشكل واضح .

كانت السياسة الامريكية العلهمة في منطقة الشرق الاوسط تسعى الى
الحفاظ على استقرار هذه المنطقة وأمن حدودها القومية وابعاد النفوذ السوفيتي .
ابا عن سياسة الجانب السوفيتي الآخر فهي تهدف الى عدم الاستقرار ، والبلقنة
واعادة ترتيب الحدود القوية وطرد النفوذ الامريكي وحرمان الغرب من بتسول
الشرق الاوسط . وحل السوفيت بنجاح الى حد ما كسب السيطرة على مختلف
الجماعات الكردية التي تضم الكثير من الشيوعيين الذين تم تدريب الكثير منهم أو
تلقوا تعليمهم في الاتحاد السوفيتي . وقد يصبح الاكراد أداة مناسبة في التأثير على
بحريات الامير .

وعلى أية حال اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا محايدا في حرب الخليج
وبوقف ظاهريا عن توريد الاسلحة المتعاقد عليها وقطع الغيار والذخيرة للعراق .
ومع ذلك لا تتوقف أبدا المصانع السياسية للسوفيت واهدافها طويلة المدى
ونذلك ربما تظهر قريبا صواريخ سام — ٧ السوفيتية او المدافع المضادة
للطائرات طراز زد اس يو ٢٣ — ٤ في أيدي الاكراد . وتعتد الكثير من الامم
على احتمال تدخل أمريكا بشكل أو بآخر في حرب الخليج أو عدم تدخلها . ويبدو
ان القوتين العظميين تنتظران كيفية وقوع جولة ثانية من حرب الخليج قبل أن
تلتزم كتا القوتين بالتدخل . واذا تدخلت احدي القوتين أو كلتاهما فلن عاجل
الاکراد سيكون له أهمية كبيرة (أو بلانس الصادر في سنة ١٩٨١ ص ٢٠) .

(ب) الشيعة

يمثل الشيعة نصف سكان العراق تقريبا حيث تصل نسبتهم الى ٤٥٪ . وبعد أن لعبوا دورا حاسما في حرب الاستقلال ضد البريطانيين وانحسر نفوذهم على السلطة السياسية ووضعهم السياسي (النفيسى سنة ١٩٧٣ ص ١٣٠ الى ١٣٩ وص ١٦١ حتى ١٦٦) أما اليوم فلا ينفق دورهم في الدولة ووضعهم على قمة الدولة وفي المؤسسات المدنية والعسكرية ، مع نسبتهم الى اجمالي عدد السكان .

يضاف الى ذلك ظاهرة اجتماعية اخرى فالناطق التي تقطنها اغلبية شيعية في الجنوب والجنوب الغربي للعراق أكثر فقرا بشكل نسبي وأهميتها الحكومة في اطار برنامج التعمير والتنمية بالمقارنة بمناطق أخرى .

يقد حدث في التاريخ القريب للعراق مشاركة رمزية للاكراد والعرب الشيعة — على الاقل — في الحكم (كما حدث في سنة ١٩٥٨ عند تشكيل مجلس الرئاسة الثلاثي الذي كان يضم عضوا سنيا وشيعيا وكرديا) الا أنه تم التخلي عن هذه المشاركة فيها بعد . ولعل ابلغ مثال على ذلك هو الشيعة في حزب البعث .

فقد تراجع نصيب الشيعة في قيادة الحزب بعد استيلاء الحزب على السلطة وهبط الى الصنر . ولدى تولى الحزب السلطة لأول مرة في عام ١٩٦٣ انخفض عدد الشيعة في مناصب الحزب العليا . وحصل الشيعة على ٢٧٪ من المناصب الحزبية في المجلس الوطني للقيادة الثورية — وهو أعلى سلطة سيشية — في الفترة من فبراير حتى نوفمبر سنة ١٩٦٣ بينما احتفظ للعرب السنيون — ٦٧٪ ، مع ملاحظة أن نسبتهم الى سكان العراق تصل الى ٢٨٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٠٨) .

وشغل العرب السنيون ٩٣٪ من المناصب القيادية في المجلس الثوري خلال الفترة من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٧ ، ولم يكن هناك أي فرد من طائفة الشيعة العرب . وفي كل الفترات كان نصيب الاكراد العرب (السنيين) من هذه المناصب بنسبة ما بين ٥٪ الى ٦٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٦٠) .

وهناك سبب آخر لاهمال الشيعيين ويتمثل في الموقف الراض لعلماء الدين الشيعة لظاهرة الدولة الحديثة وعمليات التحديث والتعليم والنظام المدرسي ويعود هذا الموقف الراض الى الامبراطورية العثمانية ولكن ذلك ليس سببا كافيا لاهمال الشيعة في الحياة العامة والسياسية ولا يمكن أن يكون مبررا لحق الاحتكار من جانب السنيين (النفيسى سنة ١٩٧٣ — ص ٤٨ — ٥٠) .

وبصرف النظر عن المستوى السياسي كانت المؤسسة الدينية والمدارس الدينية في مدينة النجف الشيعة المقدسة مركزا دينيا وثقافيا مستقلا نسبيا تمتد

قوته الاشعاعية الى ما وراء حدود العراق ولكن عدد رجال الدين الشيعيين وكذا نفوذهم أقل جوهريا بالمقارنة بايران . وتحتل اهم واكبر مدرسة في النجف بالنسبة للشيعية نفس المرتبة تقريبا التي تحتلها جامعة الازهر بالقاهرة بالنسبة للسنيين . وكان بين الالفى الطالب الذين كانت تضمهم تلك المدرسة الشيعية في عام ١٩٥٧ حوالى ٨٩٦ من ايران ، و ٢٢٦ فقط من العراق ، ٤٢٤ من باكستان ، ٢٧٠ من التبت ، ٤٧ من لبنان و ٢٠ من البحرين والسعودية (النفيسى سنة ١٩٧٣ ص ٥٠) ويتعرض هذا المركز الدينى والثقافى دائما لضغوط من جانب الحكومة العراقية فقيده النفوذ السياسى لرجال المذهب الشيعى ، وانخفضت قدرتهم المالية . لتخفيض عوائد الاوقاف (بغاتو سنة ١٩٨٢ ص ٢) . وبعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران وما تلا ذلك من موجة استفزازية ضد الشيعية فى العراق خلال عامى ١٩٨٠/٧٩ تخلت النجف عن دورها كمركز دينى وثقافى لتضطلع به ايران .

كان الشيعة دائما جزءا من قاعدة الجماعات المعارضة فى العراق . وفى عام ١٩٥٩ تأسست اول منظمة شيعية دينية . وكان تأسيس حزب الدعوة ردا على الموجة الشيعوية فى العراق ولكنه لم يتورط فى أى صدام جاد مع نظام الحكم (انظر النشرة العدد ١٢١ سنة ١٩٨٤ ص ٢١ ، انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) .

ولم يؤثر نفى الخمينى فى الفترة من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٨ فى النجف على الحركة الشيعية وحزب الدعوة . وكان محمد باقر الصدر شخصية شيعية فى السبعينيات بالعراق وتعد كتاباته حول الفلسفة والاقتصاد الاسلامى وحول نلشئون المصرفية والنظام السياسى من اهم الدراسات الاكاديمية فى العالم الاسلامى (بغاتو سنة ١٩٨٢ ص ٨) . وتنبأ عديد من المراقبين قيامه بدور مشابه لدور الخمينى بعد عام ١٩٧٩ الا أن اعدامه مع شقيقته فى ١٩ ابريل سنة ١٩٨٠ كان بمثابة قطيعة بين النظام والشيعية التى تقدمت شخصيتها القيادية ولم تتحمل هذه الخسارة مما أدى الى ضعف الحركة الشيعية فى العراق .

وشن حزب الدعوة والمجاهدون وحزب اهل حريا سرية يائسة فى الاعوام الماضية ضد الحكومة (انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) . وادت العمليات القمعية الى نقل قواعد هذا النضال الى ايران ، والى صفوف المنفيين العراقيين . ويعمل مجلس الثورة الاسلامى فى العراق —والذى يضم كل المنظمات الشيعية — من ايران ، ويضم ٥٠٠٠ مقاتل تقريبا يحاربون مع وحدات ايرانية ضد العراق . وقد أدى اعتمادهم على ايران وانفصالهم عن باقى العناصر المعارضة من تقليل فرصتهم فى أن يكونوا به بديلا للنظام العراقى الحاكم ويعتبر من قبيل التصورات الخلططة اعتماد الشيعية العراقيين فقط على التيارات السياسية الواردة باعلاه والمرتبطة بايران واكثر الشيعية العراقيين من انصار

آية الله الشيبوي (١) وبدراسة كلتا المجموعتين الواردتين بحالته لا يمكن وبشكل تلغائي استنتاج انحياز الشيعة والاكرد لايران . فمن الواجب مراعاة النواهي التالية : —

(أ) تعد مسألة (الهوية) العراقية موضوعا معقدا فالشيعة والاكرد ليسوا مندمجين بشكل كامل في الدولة وهناك انتفاءات أخرى تمنع عملية الاندماج التي بدأت في الستين عليا الماضية وحقت نجاحا ضئيليا . ان كانت ضعيفة ومتناهضة من الناحية الظاهرية الا انه يمكن الحديث عن وجود (هوية) عراقية حتى بين صفوف الاكرد والشيعة . وهذا يفسر كيف استطاعت الحكومة العراقية تعبئة قطاع وان كان صغيرا — من هذه الجماعات ضد الغزو الايراني (باتقو سنة ١٩٨٢ ص ٨) .

(ب) يعيش كل من الاكرد والشيعة في المناطق الهامشية من العراق مما يقلل من أهمية مقاومتهم وقوتهم الضاربة بشكل ملحوظ . وتبدو عملية المركزية على الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية بالعراق أكثر وضوحا منها في ايران وينطبق نفس الشيء بالنسبة للاعتماد على عائدات البترول .

(ج) يستوطن اكرد سننيون — هم أقل استعدادا للتعاون مع ايران بسبب تبني اتجاهها معتدلا لا يؤدي الى « تسييس » المؤسسة الشيعية في العراق الاسباب الواردة بعاليه — أو العرب السننيون ، مناطق النفوذ والتأثير المحتملة لايران . ويتركز السكان الشيعة بشكل رئيسي في العاصمة بغداد والجنوب الغربي للبلاد .

(د) مع تنامي أهمية العاصمة بغداد ، التي يقطنها اليوم حوالي ربع عدد سكان العراق ظهر عامل هام وجديد ، وهو تركز الشيعة من سكان بغداد في المناطق الفقيرة مثل الثورة والحرية والشعلة وذلك بسبب التغيير الاقتصادي والاجتماعي الجذري وبسبب انهيار الزراعة . ويعيش حوالي نصف سكان بغداد في هذه المناطق الهامشية ، ففي حى الثورة وحدها يعيش أكثر من مليون شخص يواجهون ظروفنا اقتصادية واجتماعية رهبة ويواجهون ظروفنا سكنية سيئة (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٤) . آتحتاج هذه الاحياء (التي كانت دائما قاعدة للقوى المعارضة ، خاصة الشيعيين) موجة دينية .

ومن الممكن تحت ظروف معينة أن تفجر في هذا الوضع انتفاضات الخبز كما حدث في انتفاضة العرش بطهران في بداية الثورة الايرانية أو الانتفاضات التي حدثت في كل من المغرب وتونس . وتعتمد هذه الاحداث أولا وقبل كل شيء على سوء الاحوال الاجتماعية وليس ارتباط كبير بحرب الخليج التي زادت من جانبها من حدة الازمة الاجتماعية .

(١) يعد آية الله أبو القاسم الشيبوي أقدم فقيه شيعي من أصل ايراني ، ويعيش في النجف بالعراق ويواصل هؤلاء التقليد السلبي للشيعة ولا يشاركون في الصراعات السياسية .

(هـ) ان الهيكل السياسى للمجتمع العراقى معقد او لا يقدم بديلا معقولا لنظام الحكم الحالى ولا تتركز السلطة السياسية فى ايدى الاقلية السنية فقط ، بل هى ايضا فى ايدى أفراد من مدن وعائلات معينة . وكانت القاعدة التقليدية للقومية العربية فى العراق مركزة فى مدن الموصل ورمادى وأحياء سية معينة فى بغداد ومدن صغيرة مثل تكريت « وناوروا » والسامراء التى كانت تستأثر تاريخيا بتقديم الجانب الاكبر من موظفى جهاز الدولة العراقية (انظر باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٢١٦ - ١٢٣٠) .

وفقدت الموصل ورمادى منذ سنة ١٩٦٨ أهميتها ، بينما كنا تحتلانا فدرا هاما فى عهد انصاريين خلال الفترة من سنة ١٩٦٤ الى سنة ١٩٦٨ - ، السلطة السياسية والوظائف المدنية والعسكرية . وينحدر اليوم كبار الموظفين أو أغلبهم من هذه المدن الصغيرة الواردة بعاليه . وتعود الخلافات بين الجماعات المختلفة داخل نظام الحكم الى أصل أعضائها فى أغلب الاحوال ، فى عام سنة ١٩٧٩ اقصى المنتمون الى السامراء عن السلطة السياسية .

وتعانى المعارضة وكذا كل الكيان السياسى للعراق من هذه الاشكالية . ولا يوجد جماعة سياسية تتمتع بقاعدة ضخمة باستثناء الحزب الشيوعى ، وهو حزب صغير نسبيا ويتواجد أنصاره فى كل المناطق وبين كل طبقات الشعب ، ويتواجد أنصار التيار الناصرى والحزب الملتزم بالناصرية بين العرب السنيين وخاصة فى المدن الواردة بعاليه ، وهم حاملو لواء القومية العربية وتحصر الاحزاب الكردية نطاق تأثيرها ، بسبب طابعها القومى على المناطق الكردية . ويعبرى نفس الشئ على المنظمات التركمانية والاشورية .

أما الحزب الاسلامى فهو مقيد محليا ومذهبيا والتنظيمات الاسلامنة الانتلديبية مثل حزب التحرير والفرع العراقى للاخوان المسلمين بضمان السنيين والاربع فقط .

ولا تضم المعارضة الشيعية الواردة بعاليه ايا من أهل السنة أو الاكراد ، وتنتصر على مناطق معينة . وتوجد قاعدة حزب الدعوة فى النجف على وجه الخصوص ويغلب عليه الطابع العربى . أما قاعدة حركة أهل فترکز فى كربلاء حيث توجد عناصر عديدة من أصل ايرانى .

ويتأثر هذا التركيب المعقد بطروف المنطقة بحيث يساعد على التدخل من جانب ايران والاتحاد السوفيتى أو من دول أخرى . واستطاعت الحكومة العراقية استغلال هذا الوضع لصالحها على الرغم من التناقضات الداخلية ويعرقل عدم وجود قاعدة مشتركة لكل الاحزاب والمنظمات وجود بديل سياسى للحكومة الحالية . ويستنتج من ذلك أن انهيار العراق سيؤدى ايا الى صراعات بين العديدين من مراكز القوى مع حدوث تورط وتأثير اقليمى ودولى أو قد يؤدى الى لبنتة العراق .

٤/٦ بعض الاستنتاجات

ولا تعد العوامل التي تم تناولها بعاليه مسئولة عن عمليات عدم التكامل والاضطراب وهي ليست ظاهرة مميزة فقط بالنسبة للعراق وايران بل هي ملحوظة في باقى دول المنطقة وهكذا نجد أن الاهمية المتزايدة للطائفة الشيعية التي توجد في لبنان والتي تدعمها ايران تعتبر أحد عناصر التناقضات الاقليمية الملموسة بشكل جزئى في الحرب العراقية الايرانية ويجب النظر الى اضطهاد السكان الشيعية في دول الخليج في ضوء انتشار هذه الاشكالية الاقليمية . ففي البحرين يشكل الشيعية أغلبية السكان أما في السعودية والامارات العربية المتحدة فيشكلون اقلية كبيرة . وكما هو الحال في العراق نجد أن مشاركتهم في السلطة السياسية محدودة كما يوجد اهمال اقتصادى واهمال في البنية للمناطق التي يسكنها الشيعية ومن الضرورى مراعاة هذا الجانب ومراعاة قوة التأثير الايرانى على دول الخليج في اطار الصراعات الاقليمية .

ومن الممكن للطوائف الشيعية في هذه الدول أن تكون عاملا مؤثرا في أى تحول سياسى بعيدا عن ايران .

(ب) تعد حركتا الوحدة العربية والوحدة الاسلامية تيارات سياسية ذات طابع وحدوى يتجاوز الاقليمية وأهدافها قابلة للتحقيق في ظل الوضع الحالى . ولكن الانشطة بتنظيماتها تعمل على نشر الفرقة وعدم الاستقرار وقد تؤدي وتفيد عملية الفرقة في اعادة تشكيل جديدة ولكن احتمالات حدوث مثل هذه العملية ليست قريبة .

ويبدو أن دول الخليج هي المستفناة من عملية الفرقة وعدم الاستقرار هذه ، منذ دفع الخوف من أطماع السيطرة الاقليمية لكلتا الدولتين المتورطتين في حرب الخليج - الحكام الى ايجاد تعاون ثنائى سياسى أوثق . وهذا التعاون أحد نتائج الحرب العراقية الايرانية التي تغير من المكونات غير المتجانسة وغير المتوافقة الموجودة بعمق هذه الدول .

(د) وتستفيد الدول الكبرى من الحرب ومن الصراعات والخلافات الاقليمية ، وهي ليست قادرة على حل هذا الصراع وليس لها مصلحة في تسويمه وتهدف هذه الدول الى ايجاد توازن بين طرفى الصراع وعلى الحد من امتداد هذه الحرب اقليميا . ويمنع وضعها الاحتكارى للتسلح المتقدم من تصعيد الحرب وبدرجة معينة .:

وهيات الحرب عاملين أساسيين لاعتماد المنطقة على الدولتين العظميين وتسلاهما فيها : انعدام الامن والاستقرار . وهناك سبب ثالث للإضطراب

والتدخل يبدو انه سيسرى على العراق في المستقبل ويتمثل في عجز الدولة عن تسديد الديون واطلاق افلاسها وذلك يعنى تحولا جديدا في العلاقة مع الدولتين العظميين واختيار جديد للنظم السياسى الدولى .

(ه) لا تلوح في الافق نهاية لهذه الحرب ، وسيترتب على ذلك ان يواجه العراق حرب الاستنزاف على المستوى الاقتصادى . وبفضل خطوط البترول الحديثة والتي بدأ العمل لها يبدو ان العراق بمنأى عن هذا الخطر حتى وان كانت عوامل أخرى تؤثر على هذا التطور . وعلى الرغم من استطاعة العراق إعادة ما يستخرجه من بترول وما يصدره من بترول الى معدلات ما قبل الحرب تحد انه من غير المؤكد أن ينجح في عرض ٣ ملايين برميل يوميا في السوق البترولية المتشعبة (لتحقيق المكاسب المأمولة) تلك السوق التي انهالت واتعيا بانهايار لاويك الذى تم بسبب مستهلكى البترول مما أدى بالتالى الى انهيار الاسعار .

وإذا ما ظل النظامان الحاكمين بالعراق وايران فى مكانهما دون تغيير فمن المستحيل حدوث نهاية لهذه الحرب فى صورة اتفاق سلام يلزم لكلا الطرفين كما حدث اتفاقية عام ١٩٧٥ . وحتى اذا ما أدت الطاقات العسكرية المحدودة أو حرب المواقع الثابتة الماثرة بالعوامل الاقليمية والدولية الى نصر شامل أو غزو كبير (وان كان ذلك أمرا غير مستبعد) فان هذا الصراع المزمع سيتحول الى حرب استنزاف .

وتعد زيادة الصراعات والاتجاهات الانقسامية الجديدة لجماعات محيية ومذهبية صغيرة تعد عملية سلبية فى هذه المنطقة وتحمل فى طياتها خطر « لغتنة » بعض الدول وتمثل نتائج ذلك فى تزايد الانفاق على التسليح والجيش وعسكرة المجتمعات والتعويق المكثف للتنمية .

ومن الممكن التغلب على المشاكل الرئيسية لهذه الدول مثل التنمية الاقتصادية والديمقراطية ومشاكل التهمين وكذلك العلاقة العادلة بين الشمال والجنوب فى اطار وحدات اقليمية أكبر أو تعاون سلمى بين الدول على أساس تنظيمات اقليمية مثل الاويك والجامعة العربية ومنظمة الدول الاسلامية . والكيانات غير الديمقراطية وغير العادلة الحاكمة لهذه الدول تجعل انتشار الاتجاهات الفرقة وعد الاستقرار أمرا لا يمكن تجنبه .

وفى هذا الاطار تلعب الحرب العراقية الايرانية دورا مدمرا ، فهناك جماعات معينة فى كلتا الدولتين ركزا جماعات اقليمية . والدول العظمى وتجارة الاسلحة الدولية تستفيد من هذه الحرب التى لم تؤد فقط الى حدوث تغييرات و تركيبات السلطة بل أدت أيضا الى بروز وارتقاء تنظيمات ومراكز قوى اصغر .

أهم موردى الاسلحة لايران :

قبل الحرب	اثناء الحرب	مساعدات أخرى
الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، الاتحاد السوفيتى ، فرنسا وايطاليا ، الصين ، فرنسا ، ايطاليا بريطانيا ، اسرائيل ، سوريا	الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، الاتحاد السوفيتى ، فرنسا ، ايطاليا بريطانيا ، اسرائيل ، سوريا	الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، الاتحاد السوفيتى ، فرنسا ، ايطاليا بريطانيا ، اسرائيل ، سوريا
بريطانيا .	المانيا الديمقراطية ، اليمن الجنوبي ، كوريا	اليمن الجنوبي ، كوريا
سويسرا ، اسرائيل ، كوريا الشمالية ، كوريا الجنوبية ، سوريا ، كوريا الشمالية ، تلوان ، فيننام ، الجزائر	سويسرا ، اسرائيل ، كوريا الشمالية ، كوريا الجنوبية ، سوريا ، كوريا الشمالية ، تلوان ، فيننام ، الجزائر	اليمن الجنوبي ، كوريا الجنوبية ، ليبيا ، الأرجنتين .
كوريا الجنوبية ، الجزائر ، ليبيا ، الأرجنتين ، البرازيل .	كوريا الجنوبية ، الجزائر ، ليبيا ، الأرجنتين ، البرازيل .	

أهم موردى الاسلحة للعراق :

قبل الحرب	اثناء الحرب	مساعدات أخرى
الاتحاد السوفيتى ، فرنسا ، البرازيل .	الولايات المتحدة ، الصين ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا	الاتحاد السوفيتى ، بلجيكا ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، البرتغال ، اسبانيا ، بريطانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، بولندا
المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا	المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا	المانيا الديمقراطية ، بولندا
المانيا ، المانيا الديمقراطية ، المجر ، بولندا ، يوغسلافيا ، النمسا ، مصر ، الاردن ، كوريا الشمالية ، البرازيل ، شيلي .	المانيا ، المانيا الديمقراطية ، المجر ، بولندا ، يوغسلافيا ، النمسا ، مصر ، الاردن ، كوريا الشمالية ، البرازيل ، شيلي .	مصر ، الاردن ، الكويت ، السعودية ، الامارات ، باكستان ، كوريا الشمالية ، الفلبين ، المغرب ، اثيوبيا ، السودان ، البرازيل .

النفقات العسكرية في الشرق الاوسط (بالدولار ابتداء من عام ١٩٧٨)

الدولة	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٧٠	١٩٧٢	١٩٧٤	١٩٧٦	١٩٧٨	١٩٨٠
افغانستان	١٤	٧٨	٦٣	٤٨	٤٤	٤٢	٤٤	٥٠	٥٩	—
الجزائر	١٤٥	١٩٢	٢٢١	٢٢١	٢٢١	٢١٧	٤٢٦	٤٢٦	٤٦٥	٥٢٤
البحرين	—	—	—	—	—	٣٥	٤٧	٣٣	٥١	١١٥
مصر	٦٧٧	٩٤٩	١٥١٧	١٥١٧	٢٥٨٩	٢٩١١	٥٩٢٧	٥٥٠٠٤	٣٢٣٧٧	٢٥٠٠٩
اثيوبيا	٧٣	١٢٦	١٢٣	٩٧	٨٦	٩٩	١٣٦	١٧٠	٢٥٤	٣٤٤
ايران	٥٤٣	٦١٢	١٠١٣٣	١٦١٥	١٨١٤					
العراق	٣٤٦	٤٦٢	٥٧٨	٦٧٧	٨٤٦	١٥١٨	٧٢٦٦٤	١٠٥٥٧	١٤٤٢٤	٢٣٠٤٠
اسرائيل	٢٥١	٤٠٦	٥٦٦	١٠١٣٢	١٩٨١	٨٣٠	٢٣٠١٦	٢٣٠١١	١٩٨٨	٢٣٤٤٠
الاردن	١٩٠	١٩٠	٢٢٨	٣٦٤	٢٨١	٢٣١٤٤	٢٣٩٠٠	٢٣١٥٩	٢٣٦٧٦	٢٣٢١٨

١
٢
٣
٤
٥

٤٩١	٣١١	٤١١	٢٥٠	٢٩٢	٢٠٣	٢٨٥	١٥٨	١٠	٨٦	الكويت
٩٣١	١٠٠٧٦	١٠٠٦٤	٧٢٤	٣٧١	١٢٢	١٢٥	١٠٠	٧٤	٨٣	لبنان
٢٠٠	١٦٦	١٧٤	٢٠٩	١٧٤	٤٦٤	٧٧٤	٦١	٢٦	٢١	ليبيا
—	٢٠٤٩	١٠٦٠٣	١٠١٠	٥٣٣	٦	٦	٥	٦	١٠	موريتانيا
٧١	٨٤	٥١	١١	٨	٢٢٦	٢٢٣	١٧٦	١٩٢	١٦٣	المغرب
١٠١٦٦	٧٧٠	٧٥٥	٣٦٧	٢٧٠						عمان
١٠٧٧٩	٧٦٧	٧٨٥	٣٤٢	٧٢	٧٣٥	٦٢٠	٧٤١	٥٩٣	٣٢٢	باكستان
١٠١٥٢	٩٨٨	٩٤٣	١١٢	٩٧٨	١٠٧٣٩	١٥١٧	١٠٠٢٢	٥٠٣	٤٣٣	المسعودية
٢٢٢٢٥٨	١١١٣٧٩	٨٤٤٣٣	٤١١١١	٢٢٦٢٣	٢٦	٢١	١٦	١٥	١٢	الصومال
٧٧	٦٧	٣٢	٣٦	٢١	٢٥٣	١٧٩	١٤٧	١١٠	١٧	السودان
٢٨٥	٢٠٧	١٩٣	١٨٤	٢٥٩	٣٨٤	٣٧٧	٢٢٠	٢٤٠	٢١٣	سوريا
٢٢١٨٦	١٠١٦٥	١٠١١٠	٦٢٤	٤٢٧	٤٥	٤٢	٣٧	٤٠	٢٣	تونس
١٩٤	١٤٨	٩٨	٦٤	٥٢	١٢٣٢	١٢٢٦٧	١٠١٨٩	١٠١٥٢	١٠٠٣٥	تركيا
٢٢٧٥٤	٢٢٧٢٨	٣٢٤٢٠	١٠٨٩٤	١٢٦٨٣٣						الامارات
١٠١٦٢	٦٨٩	٨١	٢١	—	٥٩	٣٢	١	١	٥	البحرين
٩٨	٧٩	١٣٥	١٠٦	١٠٠	٤٤	٤٦				اليمن الجنوبية

المصدر : حرب ريبوب رقم ١١٢ تقديرات توضح الاتجاهات ولكنها (١٩٨٣)
هذه البيانات في اغلبها لا تغطي ارقاما محددة

مقدود توريد الاسلحة عبر بلد ثالث في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١
 (بالبيكر الدولار ابتداء من ١٩٧٢)

النسبة	الاجمالي	المورد
٢٦٨	٤٢٥٦٠	الاتحاد السوفيتي
٢٦	٥٧٨٠	اوريسا الشرقية
		الولايات المتحدة :
		- اسلحة
٢٢٢	٣٥٢١٠	- تجهيزات
٧٧	١٢٢٣٤	- خلاقه
٧٧	١٢٢٨٠	اوريسا الغربية
٢٤٨	٣٩٣٨٠	دول اخرى
٧١	١١٢٦٠	

صفقات أسلحة متفرقة للشرق الأوسط في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١

النسبة المئوية		الشرق الأوسط في الشرق	
من أوربا	من الاتحاد من غربي من أوربا	من الولايات المتحدة	من الاتحاد السوفيتي
١٩٤	٨٧٨	٤٤٤٣	٢٢٣٣
٣١	١٣١	٤٠٠	٣٨٩
١٣٦	٠١	٣٥٧	٦٧
—	٩٥	٦٢٦	١٩٥
٢١	٥٠	٣٤٦	١١٥
١٠	—	٦٦٦	٢٤٣
٣٠٨	٨٤٤	٣٠١٨٠	٨٤٤

الثالث

ذخائر/مدافع

أسلحة خفيفة

مدفعية

طائرات مقاتلة

طائرات عمودية

موارد أرض /

جو

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا : واردات الأسلحة وصفقات الأسلحة في الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٤
ومن ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩ (بالمليار دولار)

المنطقة	قيمة إجمالية	النسبة المئوية للأسلحة	أكبر الموردين	النسبة المئوية للمنتجة	أكبر الموردين	النسبة المئوية للمنتجة	أكبر أربعة موردين	النسبة المئوية	في المنطقة
الشرق الأوسط	٩٣٤٤	٥٠	سوريا	٢٣٢٠	٢٥	الاتحاد السوفيتي	١٥	الاتحاد السوفيتي	٥١
			مصر	٢١٨١	٢٣	الاتحاد السوفيتي	١٨	أمريكا	٣٤
			إيران	٢٠٥٢	٢٢	أمريكا	٦٠	بريطانيا	١٠
			إسرائيل	١٦٦٨٨	١٨	أمريكا	١٧	فرنسا	٢
			العراق	٢٢٢	٤	الاتحاد السوفيتي	١٤	فرنسا	
			السعودية	٢٢٤	٣	أمريكا	٥١	فرنسا	
			ليبيا	٦٥٦	٨٤	فرنسا	٦٧	فرنسا	٦٣
			المغرب	٦٤	٨	أمريكا	٦٩	الاتحاد السوفيتي	١٧
			تونس	٤١	٥	فرنسا	٩٦	أمريكا	١٢
			الجزائر	٢٣	٢	فرنسا	٥٢	بريطانيا	٤
الشرق الأوسط	٢٠٠١٤١	٤٨	إيران	٦٢٢٩	٣١	أمريكا	٨١	أمريكا	٦١
			السعودية	٢٨٠٦	١٤	أمريكا	٧٩	الاتحاد السوفيتي	١٥
			الأرن	٢٦١٥	١٣	أمريكا	٩٨	فرنسا	٧
			العراق	٢٤١٨	١٢	الاتحاد السوفيتي	٩٣	بريطانيا	٥
			إسرائيل	٢٠٠٨	١٠	أمريكا	٩٥	فرنسا	
			سوريا	١١٧٠	٦	الاتحاد السوفيتي	٨٤	الاتحاد السوفيتي	٦٢
			ليبيا	٢١٥١	٦٥	الاتحاد السوفيتي	٧٩	الاتحاد السوفيتي	
			المغرب	٨٦٣	٢٠	فرنسا	٨١	فرنسا	١٩
			الجزائر	٦١٠	١٤	الاتحاد السوفيتي	٧٩	أمريكا	٣
			تونس	٧٢	١	إيطاليا	٣٨	بريطانيا	١

١٩٧٤ حتى ١٩٧٥

١٩٧٥ حتى ١٩٧٦

أكبر مصدرى السلاح للعالم الثالث في الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٠
(بالمليار الدولار)

المصدر	القيمة	النسبة المئوية للصادرات للعالم الثالث	اهم المستورين مقابل كل مصدر
البرازيل	٤٢١	٣٣ر١	شيلي
اسرائيل	٣٦٧	٢٨ر٩	جنوب افريقيا
جنوب افريقيا	١١٦	٩ر١	زيمبابوى
ليبيا	٩٨	٧ر٧	سوريا
مصر	٧٢	٥ر٧	الصومال
كوريا الجنوبية	٣٨	٣ر٠	اندونيسيا
الارجنتين	٣٥	٢ر٨	شيلي
السعودية	٣١	٢ر٤	الصومال
سنغافورة	١٧	١ر٣	تايلاند
اندونيسيا	١٦	١ر٣	بنين
كوبا	١٥	١ر٢	بيرو
الهند	١٢	٠ر٩	جنوب افريقيا
درل اخرى	٣٣	٢ر٦	
الاجمالي	١٢٧١	١٠٠ر٠	

المصدر : الكتلب السنوى SIPRI عام ١٩٨٢ ، ص ٩٦ .

جابر وصدرى السلاح للمعالم الثالث في الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٩

النسبة المئوية لكل المستقات	أكبر المستوطنين	النسبة المئوية لاجمالي المساحات للمعالم الثالث	المورد
٣٥	جنوب افريقي	٢٦	اسرائيل
٢٩	الارجنتين		
٢٥	ليبي	٢١	البرازيل
٢١	شمالي		
٧٥	باكستان	٩	ايران
٢١	الاردن		
٩٠	جنوب افريقي	٩	الاردن
٩٨	زنجبار	٩	جنوب افريقيا
٧٠	أوغندا	٦	ليبي
٢٤	سوريا		
		٢٠	حول اخرى

المصدر : الكتاب السنوي لسلسلة SIPRI في سنة ١٩٨٢ ، ص ١١٦ .

الفهرس

صفحة	
٣	المقدمة
٨	١ - ورثة التاريخ
١٣	١-١ الصراع العثماني الفارسي والعراق
١٥	١-٢ تاريخ مشكلات الحدود
١٦	١-٣ حروب ومعاهدات
١٩	١-٤ الصراع العراقي الابراني بعد الحرب العالمية الاولى
٢٢	١-٥ اتفاقية الجزائر
٢٣	١-٦ هل هو ارث التاريخ؟
٢٤	٢ - الأبعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع
٢٤	٢-١ تاريخ الصراعات الاقليمية
٢٧	٢-٢ تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة
٢٩	٢-٣ الوحدة العربية
٣٢	٢-٤ الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية
٣٨	٢-٥ الدول العظمى والدول في المنطقة :
٣٨	الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب
٤٢	٣ - السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية
٤٥	٣-١ أسس السياسة الخارجية
٤٧	٣-٢ التحول الاسلامي في السياسة الخارجية
٤٨	٣-٣ تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة في السياسة الخارجية
٥٢	٣-٤ تقلبات في السياسة الخارجية الايرانية
٥٩	٣-٥ العلاقات مع الدول العربية خاصة دول الخليج
٦٢	٤ - اندلاع الحرب ومسارها

- ٦٩ ٤-١ الغزو وحرب المواقع الثابتة (سبتمبر - مارس ١٩٨٠)
- ٧٤ ٤-٢ الغزو المضاد (مارس ١٩٨١ - مارس ١٩٨٤)
- ٨٠ ٤-٣ حرب الاستنزاف وحرب المواقع الثابتة (مارس ١٩٨٤)
- ٨١ ٥-١ مدخلات الحرب وتأثيراتها
- ٨٢ ٥-١ تأثيرها على ايران
- ٨٤ ٥-٢ تأثيرها على العراق
- ٨٧ ٥-٣ المؤثرات على دول الخليج والمنطقة
- ٩٠ ٥-٤ الدول الكبرى والحرب العراقية الايرانية
- ٩٤ ٥-٥ النتائج بالنسبة للعلاقات مع دول أخرى
- ٩٥ ٦-١ الحرب والتركيب (الفسيفسائي) : هل هي قضية تفكك او اعادة بناء بالنسبة للبعد العرقى والدينى للحرب
- ٩٥ ٦-١ الامكالية
- ٩٨ ٦-٢ انمالاتة بين المركز والهامش في ايران
- ١٠٢ ٦-٣ التسوية والاكراه في العراق الحديث
- ١١١

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مركز وخدمات
مكتبة الإسكندرية
Bibliothèque Alexandrine

مراجعة مطبعية : على كامل نسوقى